يقول تعالى مجيباً لعبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام فيما أنهاه اليه من التبرى من النصارى الملحدين الكاذبين على الله وعلى رسوله ومن رد المشيئة فيهم إلى ربه عز وجل فعند ذلك يقول تعالى (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) قال الضحاك عن ابن عباس يقول يوم ينفع الموحدين توحيدهم (لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) أى ماكثين فيها لايحولون ولا يزولون رضى الله عنهم ورضوا عنه كما قال تعالى (ورضوان من الله أكبر) وسيأتى مايتعلق بتلك الآية من الحديث وروى ابن أبى حاتم هاهنا حديثاً عن أنس فقال حدثنا أبوسعيد الأشج حدثنا المحاربى عن ليث عن عثمان يعنى ابن عمير أخبرنا اليقظان عن أنس مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ فيه «ثم يتجلى لهم الرب جل جلاله فيقول سلونى سلونى أعطكم - قال - فيسألونه الرضا فيقول رضاى أحلكم دارى وأنا لكم كرامتى فسلونى أعطكم فيسألونه الرضا - قال - فيشهدهم أنه قد رضى عنهم سبحانه وتعالى» وقوله (ذلك الفوز العظيم) أى هذا الفوز الكبير الذى لاأعظم منه كما قال تعالى (لمثل هذا فليعمل العاملون) وكما قال (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) وقوله (لله ملك السموات والأرض ومافيهن وهو على كل شىء قدير) أى هو الخالق للأشياء المالك لها المتصرف فيها القادر عليها فالجميع ملكه وتحت قهره وقدرته وفى مشيئته فلا نظير له ولا وزير ولا عديل ولا والد ولا ولد ولا صاحبة ولا إله غيره ولا رب سواه.

قال ابن وهب سمعت حيى بن عبد الله يحدث عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمر قال آخر سورة أنزلت سورة المائدة

﴿ تفسير سورة الأنعام وهى مكية ﴾

قال العوفى وعكرمة وعطاء عن ابن عباس أنزلت سورة الأنعام بمكة. وقال الطبرانى حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة واحدة حولها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح. وقال سفيان الثورى عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت نزلت سورة الأنعام على النبى ﷺ جملة وأنا آخذة بزمام ناقة النبى صلى الله عليه وسلم إن كادت من ثقلها لتكسر عظام الناقة. وقال شريك عن ليث عن شهر عن أسماء قالت نزلت سورة الأنعام على رسول الله ﷺ وهو فى مسير فى زجل من الملائكة وقد طبقوا ما بين السماء والأرض. وقال السدى عن مرة عن عبد الله قال نزلت سورة الأنعام يشيعها سبعون ألفاً من الملائكة وروى نحوه من وجه آخر عن ابن مسعود. وقال الحاكم فى مستدركه حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ وأبو الفضل الحسن بن يعقوب العدل قالا حدثنا محمد بن عبد الوهاب العبدى أخبرنا جعفر بن عون حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن السدى حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر قال لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال «لقد شيع هذه السورة من الملائكة ماسد الأفق» ثم قال صحيح على شرط مسلم. وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا إبراهيم بن درستويه الفارسى حدثنا أبو بكر بن أحمد بن محمد بن سالم حدثنا ابن أبى فديك حدثنى عمر بن طلحة الرقاشى عن نافع بن مالك بن أبى سهيل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سد مابين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والأرض بهم ترتج» ورسول الله يقول «سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم» ثم روى ابن مردويه عن الطبرانى عن إبراهيم بن نائلة عن إسماعيل بن عمر عن يوسف ابن عطية عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «نزلت على سورة الأنعام جملة واحدة وشيعها سبعون ألفاً من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد»

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ * وَهُوَ اللَّهُ

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾

يقول الله تعالى مادحا نفسه الكريمة وحامدا لها على خلقه السموات والأرض قرارا لعباده . وجعل الظلمات والنور منفعة لعباده فى ليلهم ونهارهم فجمع لفظ الظلمات ووحد لفظ النور لكونه أشرف كقوله تعالى (عن اليمين والشمائل) وكما قال فى آخر هذه السورة (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ثم قال تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) أى ومع هذا كله كفر به بعض عباده وجعلوا له شريكا وعدلا واتخذوا له صاحبة وولدا تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا . وقوله تعالى (هو الذى خلقكم من طين) يعنى أباهم آدم الذى هو أصلهم ومنه خرجوا فانتشروا فى المشارق والمغارب وقوله (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) قال سعيد بن جبير عن ابن عباس (ثم قضى أجلا) يعنى الموت (وأجل مسمى عنده) يعنى الآخرة وهكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك وزيد بن أسلم وعطية والسدى ومقاتل بن حيان وغيرهم وقول الحسن فى رواية عنه (ثم قضى أجلا) وهو ما بين أن يخلق إلى أن يموت (وأجل مسمى عنده) وهو ما بين أن يموت إلى أن يبعث هو يرجع إلى ما تقدم وهو تقدير الأجل الخاص وهو عمر كل إنسان وتقدير الأجل العام وهو عمر الدنيا بكمالها ثم انتهائها وانقضائها وزوالها وانتقالها والمصير إلى الدار الآخرة وعن ابن عباس ومجاهد (ثم قضى أجلا) يعنى مدة الدنيا وأجل مسمى عنده) يعنى عمر الإنسان إلى حين موته وكأنه مأخوذ من قوله تعالى بعد هذا (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) الآية وقال عطية عن ابن عباس (ثم قضى أجلا) يعنى النوم يقبض فيه الروح ثم يرجع إلى صاحبه عند اليقظة (وأجل مسمى عنده) يعنى أجل موت الإنسان وهذا قول غريب ومعنى قوله (عنده) أى لا يعلمه إلا هو كقوله (إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو) وكقوله (يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها) وقوله تعالى (ثم أنتم تمترون) قال السدى وغيره يعنى تشكون فى أمر الساعة وقوله تعالى (وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون) اختلف مفسرو هذه الآية على أقوال بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية الأول القائلين تعالى عن قولهم علوا كبيرا بانه فى كل مكان حيث حملوا الآية على ذلك فالأصح من الأقوال أنه المدعو الله فى السموات وفى الأرض أى يعبده ويوحده ويقر له بالإلهية من فى السموات ومن فى الأرض ويسمونه الله ويدعونه رغبا ورهبا إلا من كفر من الجن والإنس وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) أى هو إله من فى السماء وإله من فى الأرض وعلى هذا فيكون قوله (يعلم سركم وجهركم) خبرا أو حالا (والقول الثانى) أن المراد أنه الله الذى يعلم ما فى السموات وما فى الأرض من سر وجهر فيكون قوله يعلم متعلقا بقوله (فى السموات وفى الأرض) تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الأرض ويعلم ما تكسبون والقول الثالث أن قوله (وهو الله فى السموات) وقف تام ثم أستأنف الخبر فقال (وفى الأرض يعلم سركم وجهركم) وهذا اختيار ابن جرير وقوله (ويعلم ما تكسبون) أى جميع أعمالكم خيرها وشرها

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُا مَا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ * أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المشركين المكذبين المعاندين أنهم كلما أتتهم من آية أى دلالة ومعجزة وحجة من الدلالات على وحدانية الله وصدق رسله الكرام فانهم يعرضون عنها فلا ينظرون إليها ولا يبالون بها قال الله تعالى (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم

فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) وهذا تهديد لهم ووعيد شديد على تكذيبهم بالحق بأنه لابد أن يأتيهم خبر ماهم فيه من التكذيب وليجدن غبه وليذوقن وباله ثم قال تعالى واعظا لهم ومحذرا لهم أن يصيبهم من العذاب والنكال الدنيوى ما حل بأشباههم ونظرائهم من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة وأكثر جمعا وأكثر أموالا وأولادا واستعلاء فى الأرض وعمارة لها فقال (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض مالم نمكن لكم) أى من الأموال والأولاد والأعمار والجاه العريض والسعة والجنود ولهذا قال (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) أى شيئاً بعد شىء (وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم) أى أكثرنا عليهم أمطار السماء وينابيع الأرض أى استدراجا وإملاء لهم (فأهلكناهم بذنوبهم) أى بخطاياهم وسيآتهم التى اجترموها (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) أى فذهب الأولون كأمس الذاهب وجعلناهم أحاديث (وأنشأنا من بعدهم قوما آخرين) أى جيلا آخر لنختبرهم فعملوا مثل أعمالهم فأهلكوا كإهلاكهم فاحذروا أيها المخاطبون أن يصيبكم مثل ما أصابهم فما أنتم بأعز على الله منهم والرسول الذى كذبتموه أكرم على الله من رسولهم فأنتم أولى بالعذاب ومعاجلة العقوبة منهم لولا لطفه وإحسانه

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ * وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ * قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المشركين وعنادهم ومكابرتهم للحق ومباهتتهم ومنازعتهم فيه (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم) أى عاينوه ورأوا نزوله وباشروا ذلك لقال(الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) وهذا كما قال تعالى مخبرا عن مكابرتهم للمحسوسات (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) وكقوله تعالى (وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم) (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) أى ليكون معه نذيراً قال الله تعالى(ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون)أى لو نزلت الملائكة على ماهم عليه لجاءهم من الله العذاب كما قال الله تعالى (ماننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين) وقوله (يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين) الآية وقوله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) أى ولو أنزلنا مع الرسول البشرى ملكا أى لو بعثنا إلى البشر رسولا ملكيا لكان على هيئة الرجل ليمكنهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما هم يلبسون على أنفسهم فى قبول رسالة البشرى كقوله تعالى (قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) فمن رحمته تعالى بخلقه أنه يرسل إلى كل صنف من الخلائق رسلا منهم ليدعو بعضهم بعضا وليمكن بعضهم أن ينتفع ببعض فى المخاطبة والسؤال كما قال تعالى(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم) الآية قال الضحاك عن ابن عباس فى الآية يقول لو أتاهم ملك ما أتاهم إلا فى صورة رجل لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من النور (وللبسنا عليهم ما يلبسون) أى ولخلطنا عليهم ما يخلطون وقال الوالبى عنه ولشبهنا عليهم وقوله (ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) هذه تسلية للنبى ﷺ فى تكذيب من كذبه من قومه ووعد له وللمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة فى الدنيا والآخرة ثم قال تعالى (قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أى فكروا فى أنفسكم وانظروا ما أحل الله

بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله وعاندوهم من العذاب والنكال والعقوبة فى الدنيا مع ما ادخر لهم من العذاب الأليم فى الآخرة وكيف نجى رسله وعباده المؤمنين

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض ومن فيهما وأنه قد كتب على نفسه المقدسة الرحمة كما ثبت فى الصحيحين من طريق الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله لما خلق الخلق كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتى تغلب غضبى» وقوله (ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه) هذه اللام هى الموطئة للقسم فأقسم بنفسه الكريمة ليجمعن عباده (إلى ميقات يوم معلوم) وهو يوم القيامة الذى لاريب فيه أى لاشك عند عباده المؤمنين فأما الجاحدون المكذبون فهم فى ريبهم يترددون وقال ابن مردويه عند تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا عبيد الله بن أحمد بن عقبة حدثنا عباس بن محمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا محصن بن عتبة اليمانى عن الزبير بن شبيب عن عثمان بن حاضر عن ابن عباس قال سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدى رب العالمين هل فيه ماء قال « والذى نفسى بيده إن فيه لماء ، إن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء ويبعث الله تعالى سبعين ألف ملك فى أيديهم عصى من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء » هذا حديث غريب وفى الترمذى « إن لكل نبى حوضا وأرجو أن أكون أكثرهم واردة » وقوله (الذين خسروا أنفسهم) أى يوم القيامة (فهم لايؤمنون) أى لايصدقون بالمعاد ولا يخافون شر ذلك اليوم ثم قال تعالى (وله ماسكن فى الليل والنهار) أى كل دابة فى السموات والأرض الجميع عباده وخلقه وتحت قهره وتصرفه وتدبيره لاإله إلاهو (وهو السميع العليم) أى السميع لأقوال عباده. العليم بحركاتهم وضمائرهم وسرائرهم ثم قال تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذى بعثه بالتوحيد العظيم وبالشرع القويم وأمره أن يدعو الناس إلى صراط الله المستقيم (قل أغير الله أتخذ وليا فى السموات والأرض) كقوله (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) والمعنى لاأتخذ وليا إلا الله وحده لاشريك له فإنه فاطر السموات والأرض أى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق (وهو يطعم ولايطعم) أى وهو الرزاق لخلقه من غير احتياج اليهم كما قال تعالى (وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الآية وقرأ بعضهم هاهنا (وهو يطعم ولايطعم) أى لايأكل وفى حديث سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبى صلى الله عليه وسلم على طعام فانطلقنا معه فلما طعم النبى صلى الله عليه وسلم وغسل يديه قال « الحمد لله الذى يطعم ولايطعم ومن علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا من الشراب وكسانا من العرى وكل بلاء حسن أبلانا . الحمد لله غير مودع ربى ولا مكفىّ ولا مكفور ولا مستغنى عنه الحمد لله الذى أطعمنا من الطعام وسقانا من الشراب وكسانا من العرى وهدانا من الضلال وبصرنا من العمى وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا الحمد لله رب العالمين» (قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم) أى من هذه الأمة (ولاتكونن من المشركين قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم) يعنى يوم القيامة (من يصرف عنه) أى العذاب (يومئذ فقد رحمه) يعنى فقد رحمه الله (وذلك هو الفوز المبين) كقوله (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) والفوز حصول الربح ونفى الخسارة

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ * قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً أنه مالك الضر والنفع وأنه المتصرف فى خلقه بما يشاء لامعقب لحكمه ولا راد لقضائه (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو كل شىء قدير) كقوله تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) الآية وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول « اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » ولهذا قال تعالى (وهو القاهر فوق عباده) أى هو الذى خضعت له الرقاب ودلت له الجبابرة[1] وعنت له الوجوه وقهر كل شىء ودانت له الخلائق وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته على الأشياء واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه (وهو الحكيم) أى فى جميع أفعاله (الخبير) بمواضع الأشياء ومحالها فلايعطى إلا من يستحق ولا يمنع إلا من يستحق ثم قال (قل أى شىء أكبر شهادة) أى من أعظم الأشياء شهادة (قل الله شهيد بينى وبينكم) أى هو العالم بما جئتكم به وما أنتم قائلون لى (وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) أى وهو نذير لكل من بلغه كقوله تعالى (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ، قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع وأبو أسامة وأبو خالد عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب فى قوله (ومن بلغ) من بلغه القرآن فكأنما رأى النبى ﷺ زاد أبو خالد وكله . ورواه ابن جرير من طريق أبى معشر عن محمد بن كعب قال من بلغه القرآن فقد أبلغه محمد صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله تعالى (لأنذركم به ومن بلغ) إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بلغوا عن الله فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله » وقال الربيع بن أنس حق على من اتبع رسول الله ﷺ أن يدعو كالذى دعا رسول الله ﷺ وأن ينذر بالذى أنذر وقوله (أئنكم لتشهدون) أيها المشركون (أن مع الله آلهة أخرى قل لاأشهد) كقوله (فإن شهدوا فلا تشهد معهم) (قل إنما هو إله واحد وإننى برىء مما تشركون) ثم قال تعالى مخبرا عن أهل الكتاب أنهم يعرفون هذا الذى جئتهم به كما يعرفون أبناءهم بما عندهم من الأخبار والأنباء عن المرسلين المتقدمين والأنبياء فإن الرسل كلهم بشروا بوجود محمد ﷺ ونعته[1] وصفته وبلده ومهاجره وصفة أمته ولهذا قال بعده (الذين خسروا أنفسهم) أى خسروا كل الخسارة (فهم لايؤمنون) بهذا الأمر الجلى الظاهر الذى بشرت به الأنبياء ونوهت به فى قديم الزمان وحديثه ثم قال (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته) أى لاأظلم ممن تقول على الله فادعى أن الله أرسله ولم يكن أرسله ثم لا أظلم ممن كذب بآيات الله وحججه وبراهينه ودلالاته (إنه لايفلح الظالمون) أى لايفلح هذا ولا هذا لاالمفترى ولاالمكذب

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ * ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ * وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟

(١) فى المكية الجباه. (١) فى الأميرية : ومعته .

بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المشركين (يوم نحشرهم جميعا) يوم القيامة فيسألهم عن الأصنام والأنداد التى كانوا يعبدونها من دونه قائلا لهم (أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) كقوله تعالى فى سورة القصص (ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون)وقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم) أى حجتهم إلا أن قالوا (والله ربنا ما كنا مشركين) قال الضحاك عن ابن عباس (ثم لم تكن فتنتهم) أى حجتهم. وقال عطاء الخراسانى عنه أى معذرتهم وكذا قال قتادة وقال ابن جريج عن ابن عباس : أى قيلهم وكذا قال الضحاك وقال عطاء الخراسانى (ثم لم تكن فتنتهم) بليتهم حين ابتلوا (إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وقال ابن جرير والصواب ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا إياهم اعتذاراً عما سلف منهم من الشرك بالله (إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى الرازى عن عمرو ابن أبى قيس عن مطرف عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أتاه رجل فقال يا ابن عباس سمعت الله يقول (والله ربنا ما كنا مشركين) قال أما قوله (والله ربنا ما كنا مشركين) فإنهم رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة فقالوا تعالوا فلنجحد فيجحدون فيختم الله على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثا فهل فى قلبك الآن شىء ؟ إنه ليس من القرآن شىء إلا ونزل فيه شىء ولكن لا تعلمون وجهه . وقال الضحاك عن ابن عباس هذه فى المنافقين وفيه نظر فان هذه الآية مكية والمنافقون إنما كانوا بالمدينة والتى نزلت فى المنافقين آية المجادلة (يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له) الآية وهكذا قال فى حق هؤلاء (انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) كقوله (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا) الآية . وقوله (ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أى يجيئون ليستمعوا قراءتك ولا تجزى عنهم شيئا لأن الله (جعل على قلوبهم أكنة) أى أغطية لئلا يفقهوا القرآن (وفى آذانهم وقرا)أى صمما عن السماع النافع لهم كما قال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء) الآية . وقوله (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أى مهما رأوا من الآيات والدلالات والحجج البينات والبراهين لا يؤمنوا بها فلا فهم عندهم ولا إنصاف كقوله تعالى (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) الآية وقوله تعالى (حتى إذا جاءوك يجادلونك) أى يحاجونك ويناظرونك فى الحق بالباطل (يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين) أى ما هذا الذى جئت به إلا مأخوذ من كتب الأوائل ومنقول عنهم وقوله (وهم ينهون عنه وينأون عنه) فى معنى ينهون عنه قولان (أحدهما) أن المراد أنهم ينهون الناس عن اتباع الحق وتصديق الرسول والانقياد للقرآن (وينأون عنه) أى ويبعدون هم عنه فيجمعون بين الفعلين القبيحين لا ينتفعون ولا يدعون أحدا ينتفع قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (وهم ينهون عنه) يردون الناس عن محمد ﷺ أن يؤمنوا به . وقال محمد بن الحنفية كان كفار قريش لا يأتون النبى ﷺ وينهون عنه وكذا قال قتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد وهذا القول أظهر والله أعلم وهو اختيار ابن جرير (والقول الثانى) رواه سفيان الثورى عن حبيب ابن أبى ثابت عمن سمع ابن عباس يقول فى قوله (وهم ينهون عنه) قال نزلت فى أبى طالب كان ينهى الناس عن النبى ﷺ أن يؤذى وكذا قال القاسم بن مخيمرة وحبيب بن أبى ثابت وعطاء بن دينار وغيره أنها نزلت فى أبى طالب وقال سعيد بن أبى هلال نزلت فى عمومة النبى ﷺ وكانوا عشرة فكانوا أشد الناس معه فى العلانية وأشد الناس عليه فى السر رواه ابن أبى حاتم ، وقال محمد بن كعب القرظى (وهم ينهون عنه) أى ينهون الناس عن قتله وقوله (وينأون عنه) أى يتباعدون منه (وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) أى وما يهلكون بهذا الصنيع ولا يعود وباله إلا عليهم وهم لا يشعرون.

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾

يذكر تعالى حال الكفار إذا وقفوا يوم القيامة على النار وشاهدوا ما فيها من السلاسل والأغلال ورأوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأهوال فعند ذلك قالوا (ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) يتمنون أن يرد وا إلى الدار الدنيا ليعملوا عملا صالحا ولا يكذبوا بآيات ربهم ويكونوا من المؤمنين قال الله تعالى (بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل) أى بل ظهر لهم حينئذ ما كانوا يخفون فى أنفسهم من الكفر والتكذيب والمعاندة وإن أنكروها فى الدنيا أو فى الآخرة كما قال قبله بيسير (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم) ويحتمل أنهم ظهر لهم ما كانوا يعلمونه من أنفسهم من صدق ما جاءتهم به الرسل فى الدنيا وإن كانوا يظهرون لأتباعهم خلافه كقوله مخبرا عن موسى أنه قال لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر) الآية وقوله تعالى مخبرا عن فرعون وقومه (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) ويحتمل أن يكون المراد بهؤلاء المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان للناس ويبطنون الكفر ويكون هذا إخبارا عما يكون يوم القيامة من كلام طائفة من الكفار ولا ينافى هذا كون هذه السورة مكية والنفاق إنما كان من بعض أهل المدينة ومن حولها من الأعراب فقد ذكر الله وقوع النفاق فى سورة مكية وهى العنكبوت فقال (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) وعلى هذا فيكون إخباراً عن قول المنافقين فى الدار الآخرة حين يعاينون العذاب فظهر لهم حينئذ غب ما كانوا يبطنون من الكفر والنفاق والشقاق والله أعلم وأما معنى الإضراب فى قوله (بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل) فانهم ما طلبوا العود إلى الدنيا رغبة ومحبة فى الإيمان بل خوفا من العذاب الذى عاينوه جزاء على ما كانوا عليه من الكفر فسألوا الرجعة إلى الدنيا ليتخلصوا مما شاهدوا من النار ولهذا قال (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) أى فى طلبهم الرجعة رغبة ومحبة فى الإيمان ثم قال مخبرا عنهم أنهم لو ردوا إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمخالفة (وإنهم لكاذبون) أى فى قولهم يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين وقالوا ان هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين أى لعادوا لما نهوا عنه ولقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا أى ما هى إلا هذه الحياة الدنيا ثم لا معاد بعدها ولهذا قال وما نحن بمبعوثين ، ثم قال (ولو ترى إذ وقفوا على ربهم) أى أوقفوا بين يديه قال (أليس هذا بالحق ؟) أى أليس هذا المعاد بحق وليس بباطل كما كنتم تظنون (قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أى بما كنتم تكذبون به فذوقوا اليوم مسه (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون)

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ * وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن خسارة من كذب بلقائه وعن خيبته إذا جاءته الساعة بغتة وعن ندامته على ما فرط من العمل وما أسلف من قبيح الفعل ولهذا قال (حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) وهذا الضمير يحتمل

عوده على الحياة وعلى الأعمال وعلى الدار الآخرة أى فى أمرها وقوله (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء مايزرون) أى يحملون وقال قتادة يعملون ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبوسعيد الأشج حدثنا أبوخالد الأحمر عن عمرو ابن قيس عن أبى مرزوق قال يستقبل الكافر أو الفاجر عند خروجه من قبره كأقبح صوره رأيتها وأنتنه ريحاً فيقول من أنت فيقول أو ماتعرفنى فيقول لاوالله إلا أن الله قبح وجهك وأنتن ريحك فيقول أنا عملك الخبيث هكذا . كنت فى الدنيا خبيث العمل منتنه فطالما ركبتنى فى الدنيا هلم أركبك فهو قوله (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) الآية ، وقال أسباط عن السدى انه قال : ليس من رجل ظالم يدخل قبره إلا جاءه رجل قبيح الوجه أسود اللون منتن الريح وعليه ثياب دنسة حتى يدخل معه قبره فإذا رآه قال ما أقبح وجهك قال كذلك كان عملك قبيحاً قال ما أنتن ريحك قال كذلك كان عملك منتنا ، قال ما أدنس ثيابك ، قال فيقول إن عملك كان دنساً ، قال له من أنت ؟ قال عملك ، قال فيكون معه فى قبره فاذا بعث يوم القيامة قال له : إنى كنت أحملك فى الدنيا باللذات والشهوات وأنت اليوم تحملنى ، قال فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار ، فذلك قوله (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء مايزرون) وقوله (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) أى إنما غالبها كذلك (وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون)

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ * وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾

يقول تعالى مسلياً لنبيه صلى الله عليه وسلم فى تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه (قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون) أى قد أحطنا علما بتكذيبهم لك وحزنك وتأسفك عليهم كقوله (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) كما قال تعالى فى الآية الأخرى (لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين) (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً) وقوله (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) أى لا يتهمونك بالكذب فى نفس الأمر (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) أى ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم كما قال سفيان الثورى عن أبى إسحق عن ناجية بن كعب عن على قال : قال أبوجهل للنبى صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فأنزل الله (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ورواه الحاكم من طريق إسرائيل عن أبى إسحق ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن الوزير الواسطى بمكة حدثنا بشر بن المبشر الواسطى عن سلام بن مسكين عن أبى يزيد المدنى أن النبى صلى الله عليه وسلم لقى أبا جهل فصافحه فقال له رجل ألا أراك تصافح هذا الصابئ ؟ فقال والله إنى لأعلم إنه لنبى ولكن متى كنا لبنى عبد مناف تبعا ؟ وتلا أبو يزيد (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وقال أبو صالح وقتادة يعلمون أنك رسول الله ويجحدون ، وذكر محمد بن إسحق عن الزهرى فى قصة أبى جهل حين جاء يستمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم من الليل هو وأبو سفيان صخر بن حرب والأخنس بن شريق ولا يشعر أحدمنهم بالآخر فاستمعوها إلى الصباح فلما هجم الصبح تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال كل منهم للآخر ماجاء بك ؟ فذكر له ماجاء به ثم تعاهدوا أن لا يعودوا لما يخافون من علم شباب قريش بهم لئلا يفتتنوا بمجيئهم ، فلما كانت الليلة الثانية جاء كل منهم ظنا أن صاحبيه لا يجيئان لما سبق من العهود فلما أصبحوا جمعتهم الطريق

فتلاوموا ثم تعاهدوا أن لايعودوا فلما كانت الليلة الثالثة جاءوا أيضاً فلما أصبحوا تعاهدوا أن لايعودوا لمثلها ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أباسفيان بن حرب فى بيته فقال أخبرنى يا أباحنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد قال يا أبائعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف مايراد بها وسمعت أشياء ماعرفت معناها وما يراد بها ، قال الأخنس وأنا والذى حلفت به ، ثم خرج من عنده حتى أتى أباجهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم مارأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال ماذا سمعت ؟ قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يأتيه الوحى من السماء فمتى ندرك هذه ؟ والله لانؤمن به أبدا ولانصدقه ، قال فقام عنه الأخنس وتركه .

وروى ابن جرير من طريق أسباط عن السدى فى قوله (قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) لما كان يوم بدر قال الأخنس بن شريق لبنى زهرة يابنى زهرة إن محمداً ابن أختكم فأنتم أحق من ذب عن ابن أخته فانه إن كان نبيا لم تقاتلوه اليوم وإن كان كاذباً كنتم أحق من كف عن ابن أخته ، فقوا حتى ألقى أبا الحكم فان غلب محمد رجعتم سالمين ، وإن غلب محمد فان قومكم لم يصنعوا بكم شيئاً - فيومئذ سمى الأخنس وكان اسمه أبيّ - فالتقى الأخنس وأبو جهل فخلا الأخنس بأبى جهل فقال يا أبا الحكم أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس هاهنا من قريش غيرى وغيرك يستمع كلامنا ؟ فقال أبو جهل ويحك والله إن محمداً لصادق وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهبت بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ؟ فذلك قوله (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) فآيات الله محمد ﷺ

وقوله (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) هذه تسلية للنبى ﷺ وتعزية له فيمن كذبه من قومه ، وأمر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، ووعد له بالنصر كما نصروا ، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة بعد ماناله من التكذيب من قومهم والأذى البليغ ثم جاءهم النصر فى الدنيا كما لهم النصر فى الآخرة ولهذا قال (ولا مبدل لكلمات الله) أى التى كتبها بالنصر فى الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين كما قال (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون) وقال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) وقوله (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) أى من خبرهم كيف نصروا وأيدوا على من كذبهم من قومهم فلك فيهم أسوة وبهم قدوة . ثم قال تعالى (وإن كان كبر عليك إعراضهم) أى إن كان شق عليك إعراضهم عنك (فإن استطعت أن تبتغى نفقاً فى الأرض أو سلماً فى السماء) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : النفق السرب فتذهب فيه فتأتيهم بآية أو تجعل لك سلما فى السماء فتصعد فيه فتأتيهم بآية أفضل مما آتيتهم به فافعل ، وكذا قال قتادة والسدى وغيرهما وقوله (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) كقوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً) الآية قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) قال ان رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله أنه لايؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة فى الذكر الأول ، وقوله تعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون) أى إنما يستجيب لدعائك يامحمد من يسمع الكلام ويعيه ويفهمه كقوله (لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين) وقوله (والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون) يعنى بذلك الكفار لأنهم موتى القلوب فشبههم الله بأموات الأجساد فقال (والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون) وهذا من باب التهكم بهم والازراء عليهم

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا طَـٰئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

يُحْشَرُونَ* وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

يقول تعالى مخبرا عن المشركين أنهم كانوا يقولون لولا نزل عليه آية من ربه أى خارق على مقتضى ما كانوا يريدون ومما يتعنتون كقولهم (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) الآيات (قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى هو تعالى قادر على ذلك ولكن حكمته تعالى تقتضى تأخير ذلك لأنه لو أنزلها وفق ما طلبوا ثم لم يؤمنوا لعاجلهم بالعقوبة كما فعل بالأمم السالفة كما قال تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) وقال تعالى (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) وقوله (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) قال مجاهد: أى أصناف مصنفة تعرف بأسمائها . وقال قتادة : الطير أمة والإنس أمة والجن أمة وقال السدى (إلا أمم أمثالكم) أى خلق أمثالكم

وقوله (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) أى الجميع علمهم عند الله ولا ينسى واحدا من جميعهما من رزقه وتدبيره سواء كان بريا أو بحريا كقوله (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين) أى مفصح بأسمائها وأعدادها ومظانها وحاصر لحركاتها وسكناتها وقال تعالى (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) وقد قال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبيد بن واقد القيسى أبو عباد حدثنى محمد بن عيسى بن كيسان حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قل الجراد فى سنة من سنى عمر رضى الله عنه التى ولى فيها فسأل عنه فلم يخبر بشىء فاغتم لذلك فأرسل راكبا إلى كذا وآخر إلى الشأم وآخر إلى العراق يسأل هل رؤى من الجراد شىء أم لا ؟ قال فأتاه الراكب الذى من قبل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه فلما رآها كبر ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (خلق الله عز وجل ألف أمة منها ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر وأول شىء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلكت تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه » وقوله (ثم إلى ربهم يحشرون) قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله (ثم إلى ربهم يحشرون) قال حشرها الموت وكذا رواه ابن جرير من طريق إسرائيل عن سعيد عن مسروق عن عكرمة عن ابن عباس قال موت البهائم حشرها وكذا رواه العوفى عنه قال ابن أبى حاتم وروى عن مجاهد والضحاك مثله (والقول الثانى) إن حشرها هو بعثها يوم القيامة لقوله (وإذا الوحوش حشرت) وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سليمان عن منذر الثورى عن أشياخ لهم عن أبى ذر أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنتطحان فقال «يا أبا ذر هل تدرى فيم تنتطحان ؟ » قال لا قال « لكن الله يدرى وسيقضى بينهما » ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الأعمش عمن ذكره عن أبى ذر قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ انتطحت عنزان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتدرون فيم انتطحتا ! » قالوا لا ندرى قال «لكن الله يدرى وسيقضى بينهما» رواه ابن جرير ثم رواه من طريق منذر الثورى عن أبى ذر فذكره وزاد قال أبو ذر ولقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائر جناحيه فى السماء إلا ذكر لنا منه علما وقال عبد الله ابن الإمام أحمد فى مسند أبيه حدثنى عباس بن محمد وأبو يحيى البزار قالا حدثنا حجاج بن نصير حدثنا شعبة عن العوام بن مزاحم من بنى قيس بن ثعلبة عن أبى عثمان النهدى عن عثمان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة » وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبى هريرة فى قوله (إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون) قال يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شىء فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا فلذلك يقول الكافر (يا ليتنى كنت ترابا) وقد روى هذا مرفوعا فى حديث الصور

وقوله (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات) أى مثلهم فى جهلهم وقلة علمهم وعدم فهمهم كمثل أصم وهو

الذى لا يسمع أبكم وهو الذى لا يتكلم وهو مع هذا فى ظلمات لا يبصر فكيف يهتدى مثل هذا إلى الطريق أو يخرج مما هو فيه كقوله (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون * صم بكم عمى فهم لا يرجعون) وكما قال تعالى (أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور) ولهذا قال (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) أى هو المتصرف فى خلقه بما يشاء

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

يخبر تعالى أنه الفعال لما يريد المتصرف فى خلقه بما يشاء وأنه لا معقب لحكمه ولا يقدر أحد على صرف حكمه عن خلقه بل هو وحده لا شريك له الذى إذا سئل يجيب لمن يشاء ولهذا قال (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة) أى أتاكم هذا أو هذا (أغير الله تدعون إن كنتم صادقين) أى لا تدعون غيره لعلمكم أنه لا يقدر أحد على رفع ذلك سواه ولهذا قال (إن كنتم صادقين) أى فى اتخاذكم آلهة معه (بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون) أى فى وقت الضرورة لا تدعون أحدا سواه وتذهب عنكم أصنامكم وأندادكم كقوله (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه) الآية وقوله (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء) يعنى الفقر والضيق فى العيش (والضراء) وهى الأمراض والأسقام والآلام (لعلهم يتضرعون) أى يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون ، قال الله تعالى (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا) أى فهلا إذ ابتليناهم بذلك تضرعوا إلينا وتمسكنوا لدينا ولكن قست قلوبهم) أى مارقت ولا خشعت (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) أى من الشرك والمعاندة والمعاصى (فلما نسوا ما ذكروا به) أى أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم (فتحنا عليهم أبواب كل شىء) أى فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم ، عياذا بالله من مكره ، ولهذا قال (حتى إذا فرحوا بما أوتوا) أى من الأموال والأولاد والأرزاق (أخذناهم بغتة) أى على غفلة (فإذا هم مبلسون) أى آيسون من كل خير قال الوالبى عن ابن عباس المبلس: الآيس ، وقال الحسن البصرى من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأى له ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له فلا رأى له ثم قرأ (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون)قال مكر بالقوم ورب الكعبة أعطوا حاجتهم ثم أخذوا ، رواه ابن أبى حاتم ، وقال قتادة بغت الفوم أمر الله وما أخذ الله قوما قط إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله فانه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون رواه ابن أبى حاتم أيضاً

وقال مالك عن الزهرى (فتحنا عليهم أبواب كل شىء) قال رخاء الدنيا ويسرها ، وقد قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين - يعنى ابن سعد أبا الحجاج المهرى - عن حرملة بن عمران التجيبى عن عقبة بن مسلم عن عقبة ابن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «إذا رأيت الله يعطى العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج» ثم تلا رسول الله ﷺ (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا

أخذناهم بغتة فإذاهم مبلسون) ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حرملة وابن لهيعة عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا عراك بن خالد بن يزيد حدثني أبي عن إبراهيم ابن أبي عبلة عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ كان يقول : إذا أراد الله بقوم بقاء أو نماء رزقهم القصد والعفاف وإذا أراد الله بقوم اقتطاعا فتح لهم —أو فتح عليهم— باب خيانة (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) كما قال (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) ورواه أحمد وغيره

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ * قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ * وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

يقول الله تعالى لرسوله ﷺ قل لهؤلاء المكذبين المعاندين (أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم) أي سلبكم إياها كما أعطاكموها . كما قال تعالى (هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار) الآية ويحتمل أن يكون هذا عبارة عن منع الانتفاع بهما الانتفاع الشرعي ولهذا قال (وختم على قلوبكم) كما قال (أمن يملك السمع والأبصار) وقال (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) وقوله (من إله غير الله يأتيكم به) أي هل أحد غير الله يقدر على رد ذلك اليكم إذا سلبه الله منكم لا يقدر على ذلك أحد سواه ولهذا قال (انظر كيف نصرف الآيات) أي نبينها ونوضحها ونفسرها دالة على أنه لا إله إلا الله وأن ما يعبدون من دونه باطل وضلال (ثم هم يصدفون) أي ثم هم مع هذا البيان يصدفون أي يعرضون عن الحق ويصدون الناس عن اتباعه قال العوفي عن ابن عباس يصدفون أي يعدلون وقال مجاهد وقتادة يعرضون وقال السدي يصدون وقوله تعالى (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة) أي وأنتم لا تشعرون به حتى بغتكم وفجأكم (أو جهرة) أي ظاهراً عيانا (هل يهلك إلا القوم الظالمون) أي إنما كان يحيط بالظالمين أنفسهم بالشرك بالله وينجو الذين كانوا يعبدون الله وحده لا شريك له فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الآية ، وقوله (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) أي مبشرين عباد الله المؤمنين بالخيرات ومنذرين من كفر بالله النقمات والعقوبات ، ولهذا قال (فمن آمن وأصلح) أي فمن آمن قلبه بما جاءوا به وأصلح عمله باتباعه إياهم (فلا خوف عليهم) أي بالنسبة لما يستقبلونه (ولا هم يحزنون أي بالنسبة إلى مافاتهم وتركوه وراء ظهورهم من أمر الدنيا وصنيعها ، الله وليهم فيما خلفوه ، وحافظهم فيما تركوه ، ثم قال (والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون) أي ينالهم العذاب بما كفروا بما جاءت به الرسل وخرجوا عن أوامر الله وطاعته وارتكبوا من مناهيه ومحارمه وانتهاك حرماته

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ * وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ * وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ * وَإِذَا جَاءَكَ

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

يقول الله تعالى لرسوله ﷺ (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله) أى لست أملكها ولا أتصرف فيها (ولا أعلم الغيب) أى ولا أقول لكم إنى أعلم الغيب إنما ذاك من علم الله عز وجل ولا أطلع منه إلا على ما أطلعنى عليه (ولا أقول لكم إنى ملك) أى ولا أدعى أنى ملك إنما أنا بشر من البشر يوحى إلى من الله عز وجل شرفنى بذلك وأنعم علىّ به ولهذا قال (إن أتبع إلا مايوحى إلىّ) أى لست أخرج عنه قيد شبر ولا أدنى منه (قل هل يستوى الأعمى والبصير) أى هل يستوى من اتبع الحق وهدى اليه ومن ضل عنه فلم ينقد له (أفلا تتفكرون) وهذه كقوله تعالى (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب) وقوله (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولىّ ولا شفيع) أى وأنذر بهذا القرآن يامحمد (الذين هم من خشية ربهم مشفقون) (الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب) (الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) أى يوم القيامة (ليس لهم) أى يومئذ (من دونه ولى ولاشفيع) أى لاقريب لهم ولاشفيع فيهم من عذابه إن أراده بهم (لعلهم يتقون) أى أنذر هذا اليوم الذى لاحاكم فيه إلا الله عز وجل (لعلهم يتقون) فيعملون فى هذه الدار عملا ينجيهم الله به يوم القيامة من عذابه ، ويضاعف لهم به الجزيل من ثوابه . وقوله تعالى (ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) أى لاتبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفات عنك بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك كقوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) وقوله (يدعون ربهم) أى يعبدونه ويسألونه (بالغداة والعشى) قال سعيد بن المسيب ومجاهد والحسن وقتادة المراد به الصلاة المكتوبة وهذا كقوله (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) أى أتقبل منكم وقوله (يريدن وجهه) أى يريدون بذلك العمل وجه الله الكريم وهم مخلصون فيما هم فيه من العبادات والطاعات وقوله ماعليك من حسابهم من شىء ومامن حسابك عليهم من شىء) كقول نوح عليه السلام فى جواب الذين قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون وما علمى بما كانوا يعملون إن حسابهم إلا على ربى لو تشعرون . أى إنما حسابهم على الله عز وجل وليس على من حسابهم من شىء كما أنه ليس عليهم من حسابى من شىء ، وقوله (فتطردهم فتكون من الظالمين) أى إن فعلت هذا والحالة هذه قال الإمام أحمد حدثنا أسباط هو ابن محمد حدثنى أشعث عن كردوس عن ابن مسعود قال مر الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار فقالوا أمحمد أرضيت بهؤلاء ؟ فنزل فيهم القرآن (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم - الى قوله - أليس الله بأعلم بالشاكرين) ورواه ابن جرير من طريق أشعث عن عن كردوس عن ابن مسعود قال . مر الملأ من قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يامحمد أرضيت بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ؟ أنحن نصير تبعاً لهؤلاء ؟ اطردهم فلعلك إن طردتهم نتبعك ، فنزلت هذه الآية (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) إلى آخر الآية ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد بن يحيى حدثنا سعيد القطان حدثنا عمرو بن محمد العنقزى حدثنا أسباط بن نصر عن السدى عن أبى سعيد الأزدى - وكان قارىء الأزد - عن أبى الكنود عن خباب فى قول الله عز وجل (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) قال جاء الأقرع ابن حابس التميمى وعيينة بن حسن الفزارى فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا فى ناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حول النبى صلى الله عليه وسلم حقروهم فى نفر فى أصحابه فأتوه فخلوا به وقالوا إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحيى أن ترانا العرب

مع هذه الأعبد فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال « نعم » قالوا فاكتب لنا عليك كتابا قال فدعا بصحيفة ودعا عليا ليكتب ونحن قعود فى ناحية فنزل جبريل فقال(ولا تطرد الذين يدعون ربهم) الآية فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة من يده ثم دعانا فأتيناه ، ورواه ابن جرير من حديث أسباط به ، وهذا حديث غريب فان هذه الآية مكية والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر وقال سفيان الثورى عن المقدام بن شريح عن أبيه قال : قال سعد نزلت هذه الآية فى ستة من أصحاب النبى ﷺ منهم ابن مسعود قال كنا نستبق إلى رسول الله ﷺ وندنو منه ونسمع منه فقالت قريش تدنى هؤلاء دوننا فنزلت (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) رواه الحاكم فى مستدركه من طريق سفيان وقال على شرط الشيخين وأخرجه ابن حبان فى صحيحه من طريق المقدام بن شريح به

وقوله (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) أى ابتلينا واختبرنا وامتحنا بعضهم ببعض (ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غالب من اتبعه فى أول بعثته ضعفاء الناس من الرجال والنساء والعبيد والإماء ولم يتبعه من الأشراف إلا قليل كما قال قوم نوح لنوح (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذ لنا بادى الرأى) الآية وكما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان حين سأله عن تلك المسائل فقال له فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقال بل ضعفاؤهم فقال هم أتباع الرسل والغرض أن مشركى قريش كانوا يسخرون بمن آمن من ضعفائهم ويعذبون من يقدرون عليه منهم وكانوا يقولون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟ أى ما كان الله ليهدى هؤلاء إلى الخير لو كان ماصاروا إليه خيرا ويدعنا كقولهم (لو كان خيرا ما سبقونا إليه) وكقوله تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا) قال الله تعالى فى جواب ذلك (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا) وقال فى جوابهم حين قالوا (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) أى أليس هو أعلم بالشاكرين له بأقوالهم وأفعالهم وضمائرهم فيوفقهم ويهديهم سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم كما قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) وفى الحديث الصحيح « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ألوانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين عن حجاج عن ابن جريج عن عكرمة فى قوله (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) الآية قال جاء عتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدى والحارث بن نوفل وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل فى أشراف من بنى عبد مناف من أهل الكفر إلى أبى طالب فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمداً يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فإنما هم عبيدنا وعسفاؤنا كان أعظم فى صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقنا له قال فأتى أبو طالب النبى ﷺ فحدثه بذلك فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذى يريدون وإلى ما يصيرون من قولهم فأنزل الله عزوجل هذه الآية (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) إلى قوله(أليس الله بأعلم بالشاكرين) قال وكانوا بلالا وعمار بن ياسر وسالما مولى أبى حذيفة وصبيحا مولى أسيد ومن الحلفاء ابن مسعود والمقداد بن عمرو ومسعود وابن القارى وواقد بن عبد الله الحنظلى وعمرو بن عبد عمرو وذو الشمالين ومرثد بن أبى مرثد وأبو مرثد الغنوى حليف حمزة بن عبد المطلب وأشباههم من الحلفاء ونزلت فى أئمة الكفر من قريش والموالى والحلفاء (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) الآية فلما نزلت أقبل عمر رضى الله عنه فأتى النبى ﷺ فاعتذر من مقالته فأنزل الله عز وجل (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) الأية وقوله (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) أى فأكرمهم برد السلام عليهم وبشرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم ولهذا قال (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أى أوجبها على نفسه الكريمة تفضلا منه وإحسانا وامتنانا (أنه من عمل منكم سواء بجهالة) قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل، وقال معتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان بن عكرمة فى قوله (من عمل منكم سوءاً بجهالة) قال الدنيا كلها جهالة رواه ابن أبى حاتم (ثم تاب من بعده وأصلح) أى رجع عما كان عليه من المعاصى وأقلع

وعزم على أن لا يعود وأصلح العمل فى المستقبل (فأنه غفور رحيم) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هـذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله على الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتى غلبت غضبى » أخرجاه فى الصحيحين وهكذا رواه الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة ورواه موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبى هريرة وكذا رواه الليث وغيره عن محمد بن عجلان عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ بذلك وقد روى ابن مردويه من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « إذا فرغ الله من القضاء بين الخلق أخرج كتابا من تحت العرش إن رحمتى سبقت غضبى وأنا أرحم الراحمين فيقبض قبضة أو قبضتين فيخرج من النار خلقا لم يعملوا خيرا مكتوب بين أعينهم عتقاء الله » وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عاصم بن سليمان عن أبى عثمان النهدى عن سلمان فى قوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) قال انا نجد فى التوراة عطفتين أن الله خلق السموات والأرض وخلق مائة رحمة أوجعل مائة رحمة قبل أن يخلق الخلق ثم خلق الخلق فوضع بينهم رحمة واحدة وأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة قال فبها يتراحمون وبها يتعاطفون وبها يتباذلون وبها يتزاورون وبها تحن الناقة وبها تبخ البقرة وبها تثغو الشاة وبها تتتابع الحيتان فى البحر فإذا كان يوم القيامة جمع الله تلك الرحمة إلى ماعنده ورحمته أفضل وأوسع ، وقد روى هذا مرفوعا من وجه آخر وسيأتى كثير من الأحاديث الموافقة لهذه عند قوله (ورحمتى وسعت كل شىء) ومما يناسب هـذه الآية من الآحاديث أيضا قوله ﷺ لمعاذ بن جبل « أتدرى ما حق الله على العباد ؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً » ثم قال « أتدرى ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك ؟ أن لا يعذبهم » وقد رواه الإمام أحمد من طريق كميل بن زياد عن أبى هريرة رضى الله عنه

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ * قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ * قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ * قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ * وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾

يقول تعالى وكما بيننا ما تقدم بيانه من الحجج والدلائل على طريق الهداية والرشاد وذم المجادلة والعناد (كذلك نفصل الآيات) أى التى يحتاج المخاطبون إلى بيانها (ولتستبين سبيل المجرمين) أى ولتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسل وقرئى (ولتستبين سبيل المجرمين) أى ولتستبين يا محمد أو يا مخاطب سبيل المجرمين وقوله (قل إنى على بينة من ربى) أى على بصيرة من شريعة الله التى أوحاها الله إلى (وكذبتم به) أى بالحق الذى جاءنى من الله (ما عندى ما تستعجلون به) أى من العذاب (إن الحكم إلا لله) أى إنما يرجع أمر ذلك إلى الله إن شاء عجل لكم ما سألتموه من ذلك وإن شاء أنظركم وأجلكم لما له فى ذلك من الحكمة العظيمة ولهذا قال (يقص الحق وهو خير الفاصلين) أى وهو خير من فصل القضايا وخير الفاتحين فى الحكم بين عباده ، وقوله (قل لو أن عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بينى وبينكم) أى لو كان مرجع ذلك إلى لأوقعت لكم ما تستحقونه من ذلك والله أعلم بالظالمين ، فان قيل فما الجمع بين هـذه الآية وبين ما ثبت فى الصحيحين من طريق ابن وهب عن يونس عن الزهرى عن عروة عن عائشة أنها قالت لرسول الله ﷺ يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منه يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم استفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد ظللتنى فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فنادانى فقال : إن الله قد

سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال فنادانى ملك الجبال وسلم على ثم قال يامحمد إن الله قدسمع قول قومك لك وقد بعثنى ربك اليك لتأمرنى بأمرك فيما شئت ، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين فقال رسول الله ﷺ « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لايشرك به شيئاً » وهذا لفظ مسلم فقد عرض عليه عذابهم واستئصالهم فاستأنى بهم وسأل لهم التأخير لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لايشرك به شيئاً فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى فى هذه الآية الكريمة (قل لو أن عندى ماتستعجلون به لقضى الأمر بينى وبينكم والله أعلم بالظالمين) فالجواب والله أعلم أن هذه الآية دلت على أنه لوكان اليه وقوع العذاب الذى يطلبونه حال طلبهم له لأوقعه بهم وأما الحديث فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب بهم بل عرض عليه ملك الجبال انه إن شاء أطبق عليهم الأخشبين وهما جبلا مكة اللذان يكتنفانها جنوبا وشمالا فلهذا استأنى بهم وسأل الرفق لهم . وقوله تعالى (وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلاهو) قال البخارى حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مفاتح الغيب خمس لايعلمهن إلا الله » (إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم مافى الأرحام ، وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وماتدرى نفس بأى أرض تموت ، إن الله عليم خبير) وفى حديث عمر أن جبريل حين تبدى له فى صورة أعرابى فسأل عن الإيمان والاسلام والاحسان فقال له النبى ﷺ فيما قال له « خمس لايعلمهن إلا الله » ثم قرأ (إن الله عنده علم الساعة) الآية . وقوله (ويعلم مافى البر والبحر) أى محيط علمه الكريم بجميع الموجودات بريها وبحريها لايخفى عليه من ذلك شىء ولامثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء وما أحسن ماقال الصرصرى :

فلا يخفى عليه الدر إما * تراءى للنواظر أو توارى

وقوله (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) أى ويعلم الحركات حتى من الجمادات فما ظنك بالحيوانات ولا سيما المكلفون منهم من جنهم وإنسهم كما قال تعالى (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا الحسن ابن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن سعيد بن مسروق حدثنا حسان النمرى عن ابن عباس فى قوله (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) قال مامن شجرة فى بر ولا بحر إلا وملك موكل بها يكتب مايسقط منها رواه ابن أبى حاتم وقوله (ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) قال ابن أبى حاتم حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن المسور الزهرى حدثنا مالك بن سعير حدثنا الأعمش عن يزيد بن أبى زياد عن عبدالله بن الحارث قال مافى الأرض من شجرة ولامغرز إبرة إلا وعليها ملك موكل يأتى الله بعلمها رطوبتها إذا رطبت ويبوستها إذا يبست وكذا رواه ابن جرير عن أبى الخطاب زياد بن عبد الله الحسانى عن مالك بن سعير به . ثم قال ابن أبى حاتم ذكر عن أبى حذيفة حدثنا سفيان عن عمرو بن قيس عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خلق الله النون وهى الدواة وخلق الألواح فكتب فيها أمر الدنيا حتى ينقضى ما كان من خلق مخلوق أو رزق حلال أو حرام أو عمل بر أو فجور وقرأ هذه الآية (وماتسقط من ورقة إلا يعلمها) إلى آخر الآية قال محمد بن إسحق عن يحيى بن النضر عن أبيه سمعت عبد الله بن عمرو ابن العاص يقول إن تحت الأرض الثالثة وفوق الرابعة من الجن مالوا أنهم ظهروا يعنى لكم لم تروا معهم نورا على كل زاوية من زوايا الأرض خاتم من خواتيم الله عز وجل على كل خاتم ملك من الملائكة يبعث الله عز وجل اليه فى كل يوم ملكا من عنده أن احتفظ بما عندك .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوٓا إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾

يقول تعالى إنه يتوفى عباده فى منامهم بالليل وهذا هو التوفى الأصغر كما قال تعالى (إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى) وقال تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) فذكر فى هذه الآية الوفاتين الكبرى والصغرى وهكذا ذكر فى هذا المقام حكم الوفاتين الصغرى ثم الكبرى فقال (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار) أى ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار وهذه جملة معترضة دلت على إحاطة علمه تعالى بخلقه فى ليلهم ونهارهم فى حال سكونهم وحال حركتهم كما قال (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) وكما قال تعالى (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) أى فى الليل (ولتبتغوا من فضله) أى فى النهار كما قال (وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً) ولهذا قال تعالى هاهنا (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار) أى ما كسبتم من الأعمال فيه (ثم يبعثكم فيه) أى فى النهار قاله مجاهد وقتادة والسدى ، وقال ابن جريج عن عبد الله بن كثير أى فى المنام والأول أظهر وقد روى ابن مردويه بسنده عن الضحاك عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال « مع كل إنسان ملك إذا نام أخذ نفسه ويرد اليه فإن أذن الله فى قبض روحه قبضه وإلا رد اليه » فذلك قوله (وهو الذى يتوفاكم بالليل)

وقوله (ليقضى أجل مسمى) يعنى به أجل كل واحد من الناس (ثم إليه مرجعكم) أى يوم القيامة (ثم ينبئكم) أى فيخبركم (بما كنتم تعملون) أى ويجزيكم على ذلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر وقوله (وهو القاهر فوق عباده) أى وهو الذى قهر كل شىء وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شىء (ويرسل عليكم حفظة) أى من الملائكة يحفظون بدن الإنسان كقوله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) وحفظة يحفظون عمله ويحصونه كقوله (وإن عليكم لحافظين) الآية وكقوله (عن اليمين وعن الشمال قعيد * مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وقوله (إذ يتلقى المتلقيان) الآية وقوله (حتى إذا جاء أحدكم الموت) أى احتضر وحان أجله (توفته رسلنا) أى ملائكة موكلون بذلك قال ابن عباس وغير واحد : لملك الموت أعوان من الملائكة يخرجون الروح من الجسد فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم ، وسيأتى عند قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الأحاديث المتعلقة بذلك الشاهدة لهذا المروى عن ابن عباس وغيره بالصحة ، وقوله (وهم لايفرطون) أى فى حفظ روح المتوفى بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله عز وجل إن كان من الأبرار ففى عليين وإن كان من الفجار ففى سجين عياذا بالله من ذلك وقوله (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) قال ابن جرير (ثم ردوا) يعنى الملائكة (إلى الله مولاهم الحق) ونذكر هاهنا الحديث الذى رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا حسين بن محمد حدثنا ابن أبى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « إن الميت يحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ، اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله عز وجل وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث اخرجى ذميمة وأبشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال لامرحباً بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة فانه لايفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح فيقال له مثل ماقيل فى الحديث الأول ويجلس الرجل السوء فيقال له مثل ماقيل فى الحديث الثانى » هذا حديث غريب ويحتمل أن يكون المراد بقوله (ثم ردوا) يعنى الخلائق كلهم إلى الله يوم القيامة فيحكم فيهم بعدله كما قال (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) وقال (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً) إلى قوله (ولا يظلم ربك أحداً) ولهذا قال (مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين)

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ * قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾

يقول تعالى ممتنا على عباده فى إنجائه المضطرين منهم من ظلمات البر والبحر أى الحائرين الواقعين فى المهامه البرية وفى اللجج البحرية إذا هاجت الرياح العاصفة فحينئذ يفردون الدعاء له وحده لا شريك له كقوله (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه) الآية وقوله (هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) الآية وقوله (أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) وقال فى هذه الآية الكريمة (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية) أى جهرا وسرا (لئن أنجانا) أى من هذه الضائقة (لنكونن من الشاكرين) أى بعدها قال الله (قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم) أى بعد ذلك (تشركون) أى تدعون معه فى حال الرفاهية آلهة أخرى وقوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) لما قال ثم أنتم تشركون عقبه بقوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا) أى بعد إنجائه إياكم كقوله فى سورة سبحان (ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا . أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) قال ابن أبى حاتم ذكر عن مسلم بن إبراهيم حدثنا هارون الأعور عن جعفر بن سليمان عن الحسن فى قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) قال هذه للمشركين . وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) لأمة محمد ﷺ وعفى عنهم ، ونذكر هنا الأحاديث الواردة فى ذلك والآثار وبالله المستعان وعليه التكلان وبه الثقة

قال البخارى رحمه الله تعالى فى قوله تعالى (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) يلبسكم يخلطكم من الالتباس يلبسوا يخلطوا شيعا فرقا حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال رسول الله ﷺ « أعوذ بوجهك » (أو من تحت أرجلكم) قال « أعوذ بوجهك » (أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) قال رسول الله ﷺ « هذه أهون ـ أو ـ أيسر » وهكذا رواه أيضا فى كتاب التوحيد عن قتيبة عن حماد به ، ورواه النسائى أيضا فى التفسير عن قتيبة ومحمد بن النضر ابن مساور ويحيى بن حبيب بن عدى أربعتهم عن حماد بن زيد به ، وقد رواه الحميدى فى مسنده عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار سمع جابرا عن النبى صلى الله عليه وسلم به . ورواه ابن حبان فى صحيحه عن أبى يعلى الموصلى عن أبى خيثمة عن سفيان بن عيينة به ، ورواه ابن جرير فى تفسيره عن أحمد بن الوليد القرشى وسعيد بن الربيع وسفيان بن وكيع كلهم عن سفيان بن عيينة به ، ورواه أبو بكر بن مردويه من حديث آدم بن أبى إياس ويحيى بن عبد الحميد وعاصم ابن على عن سفيان بن عيينة به ورواه سعيد بن منصور عن حماد بن زيد وسفيان بن عيينة كلاهما عن عمرو بن دينار به

(طريق آخر) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه فى تفسيره حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا مقدام بن داود حدثنا عبد الله ابن يوسف حدثنا عبد الله بن لهيعة عن خالد بن يزيد عن أبى الزبير عن جابر قال لما نزلت (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال رسول الله ﷺ « أعوذ بالله من ذلك » (أو من تحت أرجلكم) قال رسول الله ﷺ «أعوذ بالله من ذلك» (أو يلبسكم شيعا) قال «هذا أيسر» ولو استعاذه لأعاذه . ويتعلق بهذه الآية أحاديث كثيرة (أحدها) قال الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده حدثنا أبو اليمان حدثنا أبو بكر يعنى ابن أبى مريم عن راشد هو ابن سعد المقرائى عن سعد بن أبى وقاص قال سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) فقال «أما إنها كائنة ولما يأت تأويلها بعد» وأخرجه الترمذى عن الحسن بن عرفة عن إسماعيل بن عياش عن أبى بكر بن أبى مريم به ثم قال هذا حديث غريب .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يعلى هو ابن عبيد حدثنا عثمان بن حكيم عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى مررنا على مسجد بنى معاوية فدخل فصلى ركعتين فصلينا معه فناجى ربه عز وجل طويلا ثم قال « سألت ربى ثلاثا سألته أن لا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يهلك أمتى بالسنة فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » انفرد بإخراجه مسلم فرواه فى كتاب الفتن عن أبى بكر بن أبى شيبة عن محمد بن عبد الله بن نمير كلاهما عن عبد الله بن نمير وعن محمد بن يحيى بن أبى عمرو عن مروان بن معاوية كلاهما عن عثمان بن حكيم به (حديث آخر) قال الإمام أحمد قرأت على عبد الرحمن بن مهدى عن مالك عن عبد الله بن عبد الله ابن جابر بن عتيك عن جابر بن عتيك أنه قال جاءنا عبد الله بن عمر فى حرة بنى معاوية ـ قرية من قرى الأنصار ـ فقال لى هل تدرى أين صلى رسول الله ﷺ فى مسجدكم هذا ؟ فقلت نعم فأشرت إلى ناحية منه فقال هل تدرى ما الثلاث التى دعاهن فيه ؟ فقلت نعم فقال أخبرنى بهن فقلت دعا أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم ولا يهلكهم بالسنين فأعطيهما . ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعها ، قال صدقت فلا يزال الهرج إلى يوم القيامة . ليس هو فى شىء من الكتب الستة وإسناده جيد قوى ولله الحمد والمنة

(حديث آخر) قال محمد بن إسحق عن حكيم بن عباد عن خصيف عن عبادة بن حنيف عن على بن عبد الرحمن أخبرنى حذيفة بن اليمان قال خرجت مع رسول الله ﷺ إلى حرة بنى معاوية قال فصلى ثمانى ركعات فأطال فيهن ثم التفت إلى فقال « حبستك يا حذيفة » قلت الله ورسوله أعلم قال « إنى سألت الله ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألته أن لا يسلط على أمتى عدوا من غيرهم فأعطانى وسألته أن لا يهلكهم بغرق فأعطانى وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنى» رواه ابن مردويه من حديث محمد بن إسحق ، (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبيدة ابن حميد حدثنى سليمان بن الأعمش عن رجاء الأنصارى عن عبد الله بن شداد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال أتيت رسول الله ﷺ فقيل لى خرج قبل ، قال فجعلت لا أمر بأحد إلا قال مر قبل ، حتى مررت فوجدته قائما يصلى قال فجئت حتى قمت خلفه قال: فأطال الصلاة فلما قضى صلاته قلت يا رسول الله قد صليت صلاة طويلة فقال رسول الله ﷺ « إنى صليت صلاة رغبة ورهبة إنى سألت الله عز وجل ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة ، سألته أن لا يهلك أمتى غرقا فأعطانى وسأله أن لا يظهر عليهم عدوا ليس منهم فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فردها على » ورواه ابن ماجه فى الفتن عن محمد بن عبد الله بن نمير وعلى بن محمد كلاهما عن أبى معاوية عن الأعمش به ورواه ابن مردويه من حديث أبى عوانة عن عبد الله بن عمير عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن معاذ بن جبل عن النبى ﷺ بمثله أو نحوه

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا هارون بن معروف حدثنا عبد الله بن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن بكير بن الأشج أن الضحاك بن عبد الله القرشى حدثه عن أنس بن مالك أنه قال رأيت رسول الله ﷺ فى سفر صلى سبحة الضحى ثمانى ركعات فلما انصرف قال «إنى صليت صلاة رغبة ورهبة وسألت ربى ثلاثا فأعطانى

اثنتين ومنعنى واحدة سألته أن لا يبتلى أمتى بالسنين ففعل وسألته أن لا يظهر عليهم عدوهم ففعل، وسألته أن لا يسلبهم شيعاً فأبى على » ورواه النسائى فى الصلاة عن محمد بن سلمة عن ابن وهب به . (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب بن أبى حمزة قال: قال الزهرى حدثنى عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن خباب عن أبيه خباب بن الأرت مولى بنى زهرة وكان قد شهد بدرا مع رسول الله ﷺ أنه قال وافيت رسول الله ﷺ فى ليلة صلاها كلها حتى كان مع الفجر فسلم رسول الله ﷺ من صلاته فقلت يارسول الله لقد صليت الليلة صلاة مارأيتك صليت مثلها فقال رسول الله ﷺ « أجل إنها صلاة رغب ورهب سألت ربى عز وجل فيها ثلاث خصال فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألت ربى عز وجل أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا فأعطانيها وسألت ربى عز وجل أن لا يظهر علينا عدوا من غيرنا فأعطانيها وسألت ربى عز وجل أن لا يلبسنا شيعاً فمنعنيها » ورواه النسائى من حديث شعيب ابن أبى حمزة به . ومن وجه آخر وابن حبان فى صحيحه بإسناديهما عن صالح بن كيسان والترمذى فى الفتن من حديث النعمان بن راشد كلاهما عن الزهرى به وقال حسن صحيح . (حديث آخر) قال أبو جعفر بن جرير فى تفسيره حدثنى زياد بن عبد الله المزنى حدثنا مروان بن معاوية الفزارى حدثنا أبو مالك حدثنى نافع بن خالد الخزاعى عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود فقال «قد كانت صلاة رغبة ورهبة ،سألت الله عز وجل فيها ثلاثا أعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألت الله أن لا يصيبكم بعذاب أصاب به من كان قبلكم فأعطانيها وسألت الله أن لا يسلط عليكم عدوا يستبيح بيضتكم فأعطانيها وسألت الله أن لا يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها » قال أبو مالك فقلت له أبوك سمع هذا من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال نعم سمعته يحدث بها القوم أنه سمعها من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق قال : قال معمر أخبرنى أيوب عن أبى قلابة عن الأشعث الصنعانى عن أبى أسماء الرحبى عن شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله زوى لى الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وان ملك أمتى سيبلغ مازوى لى منها وإنى أعطيت الكنزين الأبيض والأحمر وإنى سألت ربى عز وجل أن لا يهلك أمتى بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا فيهلكهم بعامة وأن لا يلبسهم شيعاً وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فقال يامحمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا رد وإنى قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا ممن سواهم فيهلكهم بعامة حتى يكون بعضهم يهلك بعضا وبعضهم يقتل بعضاً وبعضهم يسبى بعضاً » قال: وقال النبى ﷺ « إنى لا أخاف على أمتى إلا الأئمة المضلين فإذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة » ليس فى شىء من الكتب الستة وإسناده جيد قوى وقد رواه ابن مردويه من حديث حماد بن زيد وعباد بن منصور وقتادة ثلاثتهم عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن ثوبان عن رسول الله ﷺ بنحوه والله أعلم

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم الهاشمى وميمون بن إسحق بن الحسن الحنفى قالا حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا محمد بن فضيل عن أبى مالك الأشجعى عن نافع بن خالد الخزاعى عن أبيه قال وكان أبوه من أصحاب رسول الله ﷺ وكان من أصحاب الشجرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى والناس حوله صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود قال فجلس يوما فأطال الجلوس حتى أومأ بعضنا الى بعض ان اسكتوا إنه ينزل عليه فلما فرغ قال له بعض القوم يارسول الله لقد أطلت الجلوس حتى أومأ بعضنا إلى بعض انه ينزل عليك قال « لا ولكنها كانت صلاة رغبة ورهبة سألت الله فيها ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألت الله أن لا يعذبكم بعذاب عذب به من كان قبلكم فأعطانيها وسألت الله أن لا يسلط على أمتى عدوا يستبيحها فأعطانيها وسألته أن لا يلبسكم شيعاً وأن لا يذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها » قال قلت له أبوك سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال نعم سمعته يقول إنه سمعها من رسول الله ﷺ عدد أصابعى هذه عشر أصابع

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يونس هو ابن محمد المؤدب حدثنا ليث هو ابن سعد عن أبى وهب الخولانى

عن رجل قد سماه عن أبي بصرة الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله ﷺ قال « سألت ربي عز وجل أربعاً فأعطاني ثلاثا ومنعني واحدة سألت الله أن لا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها وسألت الله أن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها وسألت الله أن لا يهلكهم بالسنين كما أهلك الأمم قبلهم فأعطانيها وسألت الله عز وجل أن لا يلبسهم شيعاً وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها » لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة .

(حديث آخر) قال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا أبو حذيفة الثعلبي عن زياد بن علاقة عن جابر بن سمرة السوائي عن علي أن رسول الله ﷺ قال « سألت ربي ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة فقلت يارب لا تهلك أمتي جوعا فقال هذه لك قلت يارب لا تسلط عليهم عدوا من غيرهم يعني أهل الشرك فيجتاحهم قال ذلك لك قلت يارب لا تجعل بأسهم بينهم - قال - فمنعني هذه » . (حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم عن أحمد بن محمد بن عاصم حدثنا أبو الدرداء المروزي حدثنا إسحق بن عبد الله بن كيسان حدثني أبي عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « دعوت ربي عز وجل أن يرفع عن أمتي أربعاً فرفع الله عنهم ثنتين وأبى علي أن يرفع عنهم ثنتين ، دعوت ربي أن يرفع الرجم من السماء والغرق من الأرض وأن لا يلبسهم شيعاً وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض ، فرفع الله عنهم الرجم من السماء والغرق من الأرض ، وأبى الله أن يرفع اثنتين القتل والهرج » . (طريق أخرى) عن ابن عباس أيضا قال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن محمد بن يزيد حدثني الوليد بن أبان حدثنا جعفر بن منير حدثنا أبو بدر شجاع بن الوليد حدثنا عمرو بن قيس عن رجل عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض) قال: فقام النبي ﷺ فتوضأ ثم قال « اللهم لا ترسل على أمتي عذاباً من فوقهم ولا من تحت أرجلهم ولا تلبسهم شيعاً ولا تذق بعضهم بأس بعض » قال فأتاه جبريل فقال يا محمد إن الله قد أجار أمتك أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم . (حديث آخر) قال ابن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله البزار حدثنا عبد الله بن أحمد بن موسى حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد حدثنا عمرو بن محمد العنقزي حدثنا أسباط عن السدي عن أبي المنهال عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « سألت ربي لأمتي أربع خصال فأعطاني ثلاثا ومنعني واحدة سألته أن لا تكفر أمتي صفقة واحدة فأعطانيها وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الأمم قبلهم فأعطانيها وسألته أن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد بن يحيى بن سعيد القطان عن عمرو بن محمد العنقزي به نحوه

(طريق أخرى) وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا كثير بن زيد الليثي المدني حدثني الوليد بن رباح مولى آل أبي ذئاب سمع أبا هريرة يقول قال النبي ﷺ « سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يسلط على أمتي عدوا من غيرهم فأعطاني وسألته أن لا يهلكهم بالسنين فأعطاني وسألته أن لا يلبسهم شيعاً وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعني » ثم رواه ابن مردويه بإسناده عن سعد بن سعيد عن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه ورواه البزار من طريق عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه

(أثر آخر) قال سفيان الثوري عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال أربع في هذه الأمة قد مضت اثنتان وبقيت اثنتان (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم) قال الرجم (أو من تحت أرجلكم) قال الخسف (أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض) قال سفيان يعني الرجم والخسف ، وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض) قال فهي أربع خلال منها اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة ألبسوا شيعاً وذاق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان لابد منهما واقعتان الرجم والخسف ، ورواه أحمد

عن وكيع عن أبي جعفر. ورواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا أحمد بن إسحق حدثنا أبو الأشهب عن الحسن في قوله (قل هو القادر على أن يبعث) الآية قال حسبت عقوبتها حتى عمل ذنبها فلما عمل ذنبها أرسلت عقوبتها وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك والسدى وابن زيد وغير واحد في قوله (عذابا من فوقكم) يعني الرجم (أو من تحت أرجلكم) يعني الخسف وهذا هو اختيار ابن جرير ،ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) قال كان عبد الله بن مسعود يصيح وهو في المسجد أو على المنبر يقول ألا أيها الناس إنه قد نزل بكم ، إن الله يقول (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) لو جاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحدا (أو من تحت أرجلكم) لو خسف بكم الأرض أهلككم ولم يبق منكم أحدا (أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) ألا إنه نزل بكم أسوأ الثلاث (قول ثان) قال ابن جرير وابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب سمعت خلاد بن سليمان يقول سمعت عامر بن عبد الرحمن يقول إن ابن عباس كان يقول في هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) فأئمة السوء (أو من تحت أرجلكم) فخدم السوء وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (عذابا من فوقكم) يعني أمراءكم (أو من تحت أرجلكم) يعني عبيدكم وسفلتكم ، وحكى ابن أبي حاتم عن أبي سنان وعمرو بن هانىء نحو ذلك . قال ابن جرير وهذا القول وإن كان له وجه صحيح لكن الأول أظهر وأقوى ، وهو كما قال ابن جرير رحمه الله ويشهد له بالصحة قوله تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) وفي الحديث «ليكونن في هذه الأمة قذف وخسف ومسخ» وذلك مذكور مع نظائره في أمارات الساعة وأشراطها وظهور الآيات قبل يوم القيامة وستأتي في موضعها إن شاء الله تعالى وقوله (أو يلبسكم شيعا) يعني يجعلكم ملتبسين شيعا فرقا متخالفين . قال الوالبي عن ابن عباس يعني الأهواء وكذا قال مجاهد وغير واحد وقد ورد في الحديث المروي من طرق عنه ﷺ أنه قال « وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » وقوله تعالى (ويذيق بعضكم بأس بعض) قال ابن عباس وغير واحد يعني يسلط بعضكم على بعض بالعذاب والقتل) وقوله تعالى (انظر كيف نصرف الآيات) أي نبينها ونوضحها مرة ونفسرها (لعلهم يفقهون) أي يفهمون ويتدبرون عن الله آياته وحججه وبراهينه . قال زيد بن أسلم لما نزلت (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من من فوقكم) الآية قال رسول الله ﷺ « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف » قالوا ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله قال « نعم» فقال بعضهم لا يكون هذا أبدا أن يقتل بعضنا بعضا ونحن مسلمون فنزلت (انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون* وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير

﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ *لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ * وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

يقول تعالى (وكذب به) أي بالقرآن الذي جئتهم به والهدى والبيان (قومك) يعني قريشا (وهو الحق) أي الذي ليس وراءه حق (قل لست عليكم بوكيل) أي لست عليكم بحفيظ ولست بموكل بكم كقوله (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) أي إنما علي البلاغ وعليكم السمع والطاعة فمن اتبعني سعد في الدنيا والآخرة ومن خالفني فقد شقي في الدنيا والآخرة ولهذا قال (لكل نبأ مستقر) قال ابن عباس وغير واحد أي لكل نبأ حقيقة أي لكل خبر وقوع ولو بعد حين كما قال (ولتعلمن نبأه بعد حين) وقال (لكل أجل كتاب) وهذا تهديد ووعيد أكيد

ولهذا قال بعده (وسوف تعلمون) وقوله (وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) أى بالتكذيب والاستهزاء (فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره)أى حتى يأخذوا فى كلام آخر غير ما كانوا فيه من التكذيب (وإما ينسينك الشيطان) والمراد بذلك كل فرد فرد من آحاد الأمة أن لا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها فان جلس أحد معهم ناسيا (فلا تقعد بعد الذكرى) بعد التذكر (مع القوم الظالمين) ولهذا ورد فى الحديث «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ». وقال السدى عن أبى مالك وسعيد بن جبير فى قوله (وإما ينسينك الشيطان) قال إن نسيت فذكرت (فلا تقعد) معهم وكذا قال مقاتل بن حيان وهذه الآية هى المشار إليها فى قوله (وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذاً مثلهم) الآية أى إنكم إذا جلستم معهم وأقررتموهم على ذلك فقد ساويتموهم فيما هم فيه وقوله(وما على الذين يتقون من حسابهم من شىء) أى إذا تجنبوهم فلم يجلسوا معهم فى ذلك فقد برئوا من عهدتهم وتخلصوا من إثمهم ، قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبدالله بن موسى عن إسرائيل عن السدى عن أبى مالك عن سعيد بن جبير قوله (وما على الذين يتقون من حسابهم من شىء) قال ما عليك أن يخوضوا فى آيات الله إذا فعلت ذلك أى إذا تجنبتهم وأعرضت عنهم ، وقال آخرون بل معناه وإن جلسوا معهم فليس عليهم من حسابهم من شىء وزعموا أن هذا منسوخ بآية النساء المدنية وهى قوله (إنكم إذا مثلهم) قاله مجاهد والسدى وابن جريج وغيرهم . وعلى قولهم يكون قوله (ولكن ذكرى لعلهم يتقون) أى ولكن أمرناكم بالاعراض عنهم حينئذ تذكيرا لهم عما هم فيه لعلهم يتقون ذلك ولا يعودون إليه

﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾

يقول تعالى (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا) أى دعهم وأعرض عنهم وأمهلهم قليلا فانهم صائرون إلى عذاب عظيم ولهذا قال وذكر به أى ذكر الناس بهذا القرآن وحذرهم نقمة الله وعذابه الأليم يوم القيامة وقوله تعالى (أن تبسل نفس بما كسبت) أى لئلا تبسل قال الضحاك عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن والسدى تبسل : تسلم، وقال الوالبى عن ابن عباس تفتضح. وقال قتادة تحبس وقال مرة وابن زيد تؤاخذ . وقال الكلبى تجزى وكل هذه الأقوال والعبارات متقاربة فى المعنى وحاصلها الإسلام للهلكة والحبس عن الخير والارتهان عن درك المطلوب كقوله (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) وقوله (ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع) أى لا قريب ولا أحد يشفع فيها كقوله (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) وقوله (وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) أى ولو بذلت كل مبذول ما قبل منها كقوله (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا) الآية وكذا قال ههنا (أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون)

﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾

قال السدى: قال المشركون للمسلمين اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد فأنزل الله عزوجل (قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا) أى فى الكفر (بعد إذ هدانا الله) فيكون مثلنا مثل الذى استهوته الشياطين فى الأرض يقول مثلكم إن كفرتم بعد إيمانكم كمثل رجل خرج مع قوم على الطريق فضل الطريق فحيرته الشياطين واستهوته فى الأرض وأصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه إليهم يقولون ائتنا فإنا على الطريق فأبى أن يأتيهم فذلك مثل من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد ﷺ ومحمد هو الذى يدعو إلى الطريق والطريق هو الإسلام رواه ابن جرير ، وقال قتادة (استهوته الشياطين فى الأرض) أضلته فى الأرض يعنى استهوته سيرته كقوله (تهوى إليهم) وقال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا) الآية هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعوا إليها والدعاة الذين يدعون إلى هدى الله عز وجل كمثل رجل ضل عن طريق تائها إذ ناداه مناد يا فلان ابن فلان هلم إلى الطريق وله أصحاب يدعونه يافلان هلم إلى الطريق فان اتبع الداعى الأول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق وهذه الداعية التى تدعو فى البرية من الغيلان ، يقول مثل من يعبد هذه الآلهة من دون الله فإنه يرى أنه فى شىء حتى يأتيه الموت فيستقبل الندامة والهلكة وقوله (كالذى استهوته الشياطين فى الأرض) هم الغيلان يدعونه باسمه واسم أبيه وجده فيتبعها وهو يرى أنه فى شىء فيصبح وقد رمته فى هلكة وربما أكلته أو تلقيه فى مضلة من الأرض يهلك فيها عطشا فهذا مثل من أجاب الآلهة التى تعبد من دون الله عزوجل رواه ابن جرير وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد كالذى (استهوته الشياطين فى الأرض حيران) قال رجل حيران يدعوه أصحابه إلى الطريق وذلك مثل من يضل بعد أن هدى . وقال العوفى عن ابن عباس قوله (كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب) هو الذى لا يستجيب لهدى الله وهو رجل أطاع الشيطان وعمل فى الأرض بالمعصية وحاد عن الحق وضل عنه وله أصحاب يدعونه إلى الهدى ويزعمون أن الذى يأمرونه به هدى يقول الله ذلك لأوليائهم من الإنس (إن الهدى هدى الله) والضلال ما يدعو إليه الجن رواه ابن جرير ثم قال وهذا يقتضى أن أصحابه يدعونه إلى الضلال ويزعمون أنه هدى قال وهذا خلاف ظاهر الآية فان الله أخبر أنهم يدعونه إلى الهدى فغير جائز أن يكون ضلالا وقد أخبر الله أنه هدى وهو كما قال ابن جرير فان السياق يقتضى أن هذا الذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران وهو منصوب على الحال أى فى حال حيرته وضلاله وجهله وجه المحجة وله أصحاب على المحجة سائرون فجعلوا يدعونه إليهم وإلى الذهاب معهم على الطريقة المثلى وتقدير الكلام فيأبى عليهم ولا يلتفت إليهم ولو شاء الله لهداه ولرد به إلى الطريق ولهذا قال (قل هدى الله هو الهدى) كما قال (ومن يهد الله فما له من مضل) وقال (إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين) وقوله (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) أى نخلص له العبادة وحده لا شريك له (وأن أقيموا الصلاة واتقوه) أى وأمرنا بإقامة الصلاة وبتقواه فى جميع الأحوال (وهو الذى إليه تحشرون) أى يوم القيامة (وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق) أى بالعدل فهو خالقهما ومالكهما والمدبر لهما ولمن فيهما وقوله (ويوم يقول كن فيكون) يعنى يوم القيامة الذى يقول الله كن فيكون عن أمره كلمح البصر أو هو أقرب ، ويوم منصوب إما على العطف على قوله واتقوه وتقديره واتقوا يوم يقول كن فيكون وإما على قوله (خلق السموات والأرض) أى وخلق يوم يقول كن فيكون فذكر بدء الخلق وإعادته وهذا مناسب . وإما على إضمار فعل تقديره واذكر يوم يقول كن فيكون وقوله (قوله الحق وله الملك) جملتان محلهما الجر على أنهما صفتان لرب العالمين ، وقوله (يوم ينفخ فى الصور) يحتمل أن يكون بدلا من قوله (ويوم يقول كن فيكون يوم ينفخ فى الصور) ويحتمل أن يكون ظرفا لقوله (وله الملك يوم ينفخ فى الصور) كقوله (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار)

كقوله (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا) وما أشبه ذلك ، واختلف المفسرون فى قوله (يوم ينفخ فى الصور) فقال بعضهم المرادبالصور هنا جمع صورة أى يوم ينفخ فيها فتحيا . قال ابن جرير كما يقال: سور لسور البلد وهو جمع سورة والصحيح أن المرادبالصور القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام قال ابن جرير والصواب عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ » رواه مسلم فى صحيحه، وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا سليمان التيمى عن أسلم العجلى عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو قال : قال أعرابى يا رسول الله ما الصور ؟ قال «قرن ينفخ فيه »

وقد روينا حديث الصور بطوله من طريق الحافظ أبى القاسم الطبرانى فى كتابه المطولات قال حدثنا أحمد بن الحسن المقرى الأيلى حدثنا أبو عاصم النبيل حدثنا إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو فى طائفة من أصحابه فقال «إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر » قلت يا رسول الله وما الصور قال « القرن» قلت كيف هو ؟ قال « عظيم والذى بعثنى بالحق إن عظم دارة فيه كعرض السموات والأرض ينفخ فيه ثلاث نفخات النفخة الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ويأمره فيطيلها ويديمها ولا يفتر وهى كقول الله (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق) فيسير الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا ثم ترتج الأرض بأهلها رجا فتكون كالسفينة المرمية فى البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق فى العرش ترجرجه الرياح وهو الذى يقول (يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة * قلوب يومئذ واجفة) فيميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتى الأقطار فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولى الناس مدبرين ما لهم من أمن الله من عاصم ينادى بعضهم بعضا وهو الذى يقول الله تعالى (يوم التناد) فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر فرأوا أمرا عظيما لم يروا مثله وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به علم ثم نظروا إلى السماء فإذا هى كالمهل ثم انشقت السماء فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها » قال رسول الله ﷺ « الأموات لا يعلمون بشىء من ذلك » قال أبو هريرة يا رسول الله من استثنى الله عز وجل حين يقول (ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله) ؟ قال « أولئك الشهداء » وإنما يصل الفزع إلى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه — قال — وهو الذى يقول الله عز وجل (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب شديد) فيقومون فى ذلك العذاب ما شاء الله إلا أنه يطول ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فإذا هم قد خمدوا وجاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول يارب قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت فيقول الله وهو أعلم بمن بقى فمن بقى ؟ فيقول يارب بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة العرش وبقى جبريل وميكائيل وبقيت أنا فيقول الله عز وجل : ليمت جبريل وميكائيل فينطق الله العرش فيقول يا رب يموت جبريل وميكائيل، فيقول اسكت ، فإنى كتبت الموت على كل من كان تحت عرشى فيموتان ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار فيقول يا رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله وهو أعلم بمن بقى : فمن بقى ؟ فيقول بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا فيقول الله ليمت حملة العرش فتموت ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل ثم يأتى ملك الموت فيقول يا رب قد مات حملة عرشك فيقول الله وهو أعلم بمن بقى : فمن بقى ؟ فيقول يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت أنا فيقول الله أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت فمت فيموت

فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد كان آخراً كما كان أولا طوى السموات والأرض طى السجل للكتب ثم دحاها ثم يلقفهما ثلاث مرات ثم يقول أنا الجبار أنا الجبار أنا الجبار ثلاثا ثم هتف بصوته (لمن الملك اليوم) ثلاث مرات فلا يجيبه أحد ثم يقول لنفسه (لله الواحد القهار) يقول الله (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) فيبسطهما ويسطحهما ثم يمدهما مد الأديم العكاظى (لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة فإذا هم فى هذه الأرض المبدلة مثل ما كانوا فيها من الأولى من كان فى بطنها كان فى بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعا ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطرائيث أو كنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت قال الله عز وجل ليحى حملة عرشى فيحيون ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول ليحى جبريل وميكائيل فيحييان ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نورا وأرواح الكافرين ظلمة فيقبضها جميعاً ثم يلقيها فى الصور ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث فينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول وعزتى وجلالى ليرجعن كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد فتدخل فى الخياشيم ثم تمشى فى الأجساد كما يمشى السم فى اللديغ ثم تنشق الأرض عنهم وأنا أول من تنشق الأرض عنه فتخرجون سراعاً إلى ربكم تنسلون (مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر) حفاة عراة غرلا فتقفون موقفا واحدا مقداره سبعون عاما لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم فتبكون حتى تنقطع الدموع ثم تدمعون دما وتعرقون حتى يلجمكم العرق أو يبلغ الأذقان وتقولون من يشفع لنا إلى ربنا فيقضى بيننا فتقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا فيأتون آدم فيطلبون ذلك اليه فيأبى ويقول ما أنا بصاحب ذلك فيستقرئون الأنبياء نبيا نبيا كلما جاءوا نبيا أبى عليهم - قال رسول الله ﷺ - حتى يأتونى فأنطلق إلى الفحص فأخر ساجدا - قال أبو هريرة يارسول الله وما الفحص ؟ قال - قدام العرش حتى يبعث الله إلىّ ملكا فيأخذ بعضدى ويرفعنى فيقول لى يامحمد فأقول نعم يارب ، فيقول الله عز وجل ماشأنك وهو أعلم - فأقول يارب وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى خلقك فاقض بينهم قال الله قد شفعتك أنا آتيكم أقضى بينكم - قال رسول الله ﷺ - فأرجع فأقف مع الناس فبينا نحن وقوف إذ سمعنا من السماء حسا شديدا فهالنا فينزل أهل السماء الدنيا بمثلى من فى الأرض من الجن والإنس حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم أفيكم ربنا ؟ قالوا لا وهو آت ، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلى من نزل من الملائكة وبمثلى من فيها من الجن والإنس ، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم أفيكم ربنا؟ فيقولون لا . وهو آت ، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزل الجبار عز وجل فى ظلل من الغمام والملائكة فيحمل عرشه يومئذ ثمانيه - وهم اليوم أربعة - أقدامهم فى تخوم الأرض السفلى ، والأرض والسموات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم لهم زجل فى تسبيحهم يقولون سبحان ذى العرش والجبروت سبحان ذى الملك والملكوت سبحان الحى الذى لا يموت سبحان الذى يميت الخلائق ولا يموت سبوح قدوس قدوس قدوس سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح سبحان ربنا الأعلى الذى يميت الخلائق ولا يموت فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه ثم يهتف بصوته فيقول يامعشر الجن والإنس إنى قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع قولكم وأبصر أعمالكم فانصتوا إلى فإنما هى أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ، ثم يقول (ألم أعهد إليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم * ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون * هذه جهنم التى كنتم توعدون) أو - بها تكذبون - شك أبو عاصم (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) فيميز الله الناس وتجثو الأمم . يقول الله تعالى (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون) فيقضى الله عز وجل بين خلقه إلا الثقلين الجن

والإنس فيقضى بين الوحوش والبهائم حتى إنه ليقضى للجماء من ذات القرن ، فإذا فرغ من ذلك فلم تبق تبعة عند واحدة للأخرى قال الله لها كونى ترابا فعند ذلك يقول الكافر (ياليتنى كنت ترابا) ثم يقضى الله بين العباد فكان أول مايقضى فيه الدماء ويأتى كل قتيل فى سبيل الله ويأمر الله عز وجل كل من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه فيقول يارب فيم قتلنى هذا ؟ فيقول - وهو أعلم - فيم قتلتهم ؟ فيقول قتلتهم لتكون العزة لك فيقول الله له صدقت فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس ثم تمر به الملائكة إلى الجنة ، ثم يأتى كل من قتل على غيرذلك يحمل رأسه وتشخب أوداجه فيقول يارب فيم قتلنى هذا ؟ فيقول - وهو أعلم - لم قتلتهم ؟ فيقول يارب قتلتهم لتكون العزة لى فيقول تعست ، ثم لاتبقى نفس قتلها إلا قتل بها ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها ، وكان فى مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه ، ثم يقضى الله تعالى بين من بقى من خلقه حتى لاتبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء ، فإذا فرغ الله من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق كلهم . ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى أحد عبد من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزير ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى بن مريم . ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى ثم قادتهم آلهتهم إلى النار ، وهو الذى يقول (لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون) فاذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المنافقون جاءهم الله فيما شاء من هيئته فقال يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره فينصرف عنهم وهو الله الذى يأتيهم فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يأتيهم فيقول : يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون . فيقولون والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره فيكشف لهم عن ساقه ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون أنه ربهم فيخرون للأذقان سجدا على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه ويجعل الله أصلابهم كصياصى البقر ، ثم يأذن الله لهم فيرفعون ويضرب الله الصراط بين ظهرانى جهنم كحد الشفرة أو كحد السيف عليه كلاليب وخطاطيف وحسك كحسك السعدان دونه جسر دحض مزلة فيمرون كطرف العين أو كلمح البرق أو كمر الريح أو كجياد الخيل أو كجياد الركاب أو كجياد الرجال فناج سالم وناج مخدوش ومكردس على وجهه فى جهنم ، فاذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة ؟ فيقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم عليه السلام خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا فيأتون آدم فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ولكن عليكم بنوح فإنه أول رسل الله فيؤتى نوح فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم بإبراهيم فإن الله اتخذه خليلا ، فيؤتى إبراهيم فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم بموسى فإن الله قربه نجيا وكلمه وأنزل عليه التوراة . فيؤتى موسى فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنبا ويقول لست بصاحب ذلك ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى بن مريم ، فيؤتى عيسى بن مريم فيطلب ذلك اليه فيقول ما أنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد » قال رسول الله ﷺ « فيأتونى ولى عند ربى ثلاث شفاعات وعدنيهن فأنطلق فآتى الجنة فآخذ بحلقة الباب فأستفتح فيفتح لى فأحيا ويرحب بى فإذا دخلت الجنة فنظرت الى ربى خررت ساجداً فيأذن الله لى من تحميده وتمجيده بشىء ما أذن به لأحد من خلقه ثم يقول ارفع رأسك يامحمد واشفع تشفع وسل تعطه فإذا رفعت رأسى يقول الله - وهو أعلم - ما شأنك ؟ فأقول يارب وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى أهل الجنة فيدخلون الجنة فيقول الله قد شفعتك وقد أذنت لهم فى دخول الجنة » وكان رسول الله ﷺ يقول « والذى نفسى بيده ما أنتم فى الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل كل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة سبعين مما ينشىء الله عزوجل وثنتين آدميتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله فى الدنيا فيدخل على الأولى فى غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليها سبعون زوجا من سندس وإستبرق ثم انه يضع يده بين كتفيها ثم ينظر الى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وانه لينظر الى مخ ساقها كما ينظر أحدكم الى السلك فى قصبة الياقوت

كبدها له مرآة وكبده لها مرآة . فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله ما يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره وما تشتكي قبلها ، فبينا هو كذلك إذ نودى إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل إلا أنه لا منى ولا منية إلا أن لك أزواجا غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كما أتى واحدة قالت له والله ما أرى فى الجنة شيئا أحسن منك ولا فى الجنة شىء أحب إلى منك . وإذا وقع أهل النار فى النار وقع فيها خلق من خلق ربك أو بقتهم أعمالهم فمنهم من تأخذ النار قدميه لا تجاوز ذلك ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حقويه ومنهم من تأخذ جسده كله إلا وجهه حرم الله صورته عليها » قال رسول الله ﷺ « فأقول يارب شفعنى فيمن وقع فى النار من أمتى فيقول أخرجوا من عرفتم فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد ثم يأذن الله فى الشفاعة فلا يبقى نبى ولا شهيد إلا شفع فيقول الله أخرجوا من وجدتم فى قلبه زنة دينار إيمانا فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد ثم يشفع الله فيقول أخرجوا من وجدتم فى قلبه إيمانا ثلثى دينار ثم يقول ثلث دينار ثم يقول ربع دينار ثم يقول قيراطا ثم يقول حبة من خردل فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد وحتى لا يبقى فى النار من عمل لله خيراً قط ولا يبقى أحد له شفاعة إلا شفع حتى إن إبليس يتطاول مما يرى من رحمة الله رجاء أن يشفع له . ثم يقول بقيت وأنا أرحم الراحمين فيدخل يده فى جهنم فيخرج منها مالا يحصيه غيره كأنهم حمم فيلقون على نهر يقال له نهر الحيوان فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل فما يلى الشمس منها أخيضر وما يلى الظل منها أصيفر ، فينبتون كنبات الطراثيث حتى يكونوا أمثال الدر مكتوب فى رقابهم الجهنميون عتقاء الرحمن يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب ما عملوا خيراً لله قط فيمكثون فى الجنة ما شاء الله وذلك الكتاب فى رقابهم ثم يقولون ربنا امح عنا هذا الكتاب فيمحوه الله عز وجل عنهم »

ثم ذكره بطوله ثم قال هذا حديث مشهور وهو غريب جدا ولبعضه شواهد فى الأحاديث المتفرقة وفى بعض ألفاظه نكارة ، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضى أهل المدينة وقد اختلف فيه فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبى حاتم الرازى وعمرو بن على الفلاس ومنهم من قال فيه هو متروك وقال ابن عدى أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه فى جملة الضعفاء ، قلت وقد اختلف عليه فى إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها فى جزء على حدة وأما سياقه فغريب جداً ويقال إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقا واحدا فأنكر عليه بسبب ذلك وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزى يقول إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفا قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث فالله أعلم

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّى أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * وَكَذَٰلِكَ نُرِى إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

قال الضحاك عن ابن عباس إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر وإنما كان اسمه تارخ رواه ابن أبى حاتم وقال أيضا حدثنا أحمد بن عمرو بن أبى عاصم النبيل حدثنا أبى حدثنا أبو عاصم شبيب حدثنا عكرمة عن ابن عباس فى قوله (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) يعنى بآزر الصنم ، وأبو إبراهيم اسمه تارخ وأمه اسمها شانى وامرأته اسمها سارة وأم إسماعيل اسمها هاجر وهى سرية إبراهيم وهكذا قال غير واحد من علماء النسب أن اسمه تارخ وقال مجاهد والسدى آزر اسم صنم قلت كأنه غلب عليه آزر لخدمته ذلك الصنم فالله أعلم ، وقال ابن جرير وقال آخرون هو سب وعيب بكلامهم ومعناه

معوج ولم يسنده ولا حكاه عن أحد. وقد قال ابن أبى حاتم ذكر عن معتمر بن سليمان سمعت أبى يقرأ (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) قال بلغنى أنها أعوج وأنها أشد كلمة قالها إبراهيم عليه السلام ثم قال ابن جرير والصواب أن اسم أبيه آزر ثم أورد على نفسه قول النسابين أن اسمه تارخ ثم أجاب بأنه قد يكون له اسمان كما لكثير من الناس أو يكون أحدهما لقبا وهذا الذى قاله جيد قوى والله أعلم ، واختلف القراء فى أداء قوله تعالى (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) فحكى ابن جرير عن الحسن البصرى وأبى يزيد المدنى أنهما كانا يقرآن (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة) معناه يا آزر أتتخذ أصناما آلهة ، وقرأ الجمهور بالفتح إما على أنه علم أعجمى لا ينصرف وهو بدل من قوله لأبيه أو عطف بيان وهو أشبه وعلى قول من جعله نعتا لا ينصرف أيضاً كأحمر وأسود فأما من زعم أنه منصوب لكونه معمولا لقوله (أتتخذ أصناما) تقديره يا أبت أتتخذ آزر أصناما آلهة فانه قول بعيد فى اللغة فان ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله لأن له صدر الكلام كذا قرره ابن جرير وغيره وهو مشهور فى قواعد العربية والمقصود أن إبراهيم وعظ أباه فى عبادة الأصنام وزجره عنها ونهاه فلم ينته كما قال (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة ؟) أى أتتأله لصنم تعبده من دون الله (إنى أراك وقومك)أى السالكين مسلكك(فى ضلال مبين) أى تائهين لا يهتدون أين يسلكون بل فى حيرة وجهل وأمركم فى الجهالة والضلال بين واضح لكل ذى عقل سليم . وقال تعالى (واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا * إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً * يا أبت إنى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا* يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا*يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا * قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا * قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا * وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا) فكان إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه مدة حياته فلما مات على الشرك وتبين إبراهيم ذلك رجع عن الاستغفار له وتبرأ منه كما قال تعالى (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) وثبت فى الصحيح أن إبراهيم يلقى أباه آزر يوم القيامة فيقول له آزر يا بنى اليوم لا أعصيك ، فيقول ابراهيم أى رب ألم تعدنى أنك لا تخزنى يوم يبعثون وأى خزى أخزى من أبى الأبعد ؟ فيقال يا ابراهيم انظر ما وراءك فإذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار وقوله (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض) أى نبين له وجه الدلالة فى نظره الى خلقهما على وحدانية الله عز وجل فى ملكه وخلقه وأنه لا اله غيره ولا رب سواه كقوله (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) وقوله (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض) وقال (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن فى ذلك لآية لكل عبد منيب) وأما ما حكاه ابن جرير وغيره عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والسدى وغيرهم قالوا واللفظ لمجاهد فرجت له السموات فنظر الى ما فيهن حتى انتهى بصره الى العرش وفرجت له الأرضون السبع فنظر الى ما فيهن وزاد غيره فجعل ينظر الى العباد على المعاصى ويدعو عليهم فقال الله له انى أرحم بعبادى منك لعلهم أن يتوبوا أو يرجعوا . وروى ابن مردويه فى ذلك حديثين مرفوعين عن معاذ وعلى ولكن لا يصح إسنادهما والله أعلم وروى ابن أبى حاتم من طريق العوفى عن ابن عباس فى قوله (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين) قانه تعالى جلا له الأمر سره وعلانيته فلم يخف عليه شىء من أعمال الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله إنك لا تستطيع هذا فرده كما كان قبل ذلك فيحتمل أن يكون كشف له عن بصره حتى رأى ذلك عيانا ويحتمل أن يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعرفه وعلم ما فى ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة كما رواه الإمام أحمد والترمذى وصححه عن معاذ بن جبل فى حديث المنام « أتانى ربى فى أحسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ فقلت لا أدرى يا رب ، فوضع يده بين كتفى حتى وجدت برد أنامله بين ثدى فتجلى لى كل شىء وعرفت ذلك » وذكر الحديث . وقوله (وليكون من الموقنين)قيل

الواو زائدة تقديره وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين كقوله (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين) وقيل بل هى على بابها أى نريه ذلك ليكون عالماً وموقنا وقوله تعالى (فلما جن عليه الليل) أى تغشاه وستره (رأى كوكباً) أى نجما (قال هذا ربى فلما أفل) أى غاب قال محمد بن إسحق بن يسار الأفول: الذهاب، وقال ابن جرير يقال أفل النجم يأفل ويأفل أفولا وأفلا إذا غاب ومنه قول ذى الرمة :

مصابيح ليست باللواتى تقودها * دياج[1] ولا بالآفلات الزوائل[2]

ويقال أبن أفلت عنا ؟ بمعنى أين غبت عنا : قال (لا أحب الآفلين) قال قتادة علم أن ربه دائم لا يزول فلما رأى القمر بازغاً) أى طالعاً (قال هذا ربى فلما أفل قال) لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين * (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى) أى هذا المنير الطالع ربى (هذا أكبر) أى جرما من النجم ومن القمر وأكثر إضاءة (فلما أفلت) أى غابت (قال ياقوم إنى برىء مما تشركون * إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) أى أخلصت دينى وأفردت عبادتى (للذى فطر السموات والأرض) أى خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق (حنيفاً) أى فى حال كونى حنيفا أى مائلا عن الشرك إلى التوحيد ولهذا قال (وما أنا من المشركين) وقد اختلف المفسرون فى هـذا المقام هل هو مقام نظر أو مناظرة فروى ابن جرير من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس ما يقتضى أنه مقام نظر واختاره ابن جرير مستدلا بقوله (لئن لم يهدنى ربى) الآية وقال محمد بن إسحق قال ذلك حين خرج من السرب الذى ولدته فيه أمه حين تخوفت عليه من نمروذ بن كنعان لما كان قد أخبر بوجود مولود يكون ذهاب ملكه على يديه فأمر بقتل الغلمان عامئذ فلما حملت أم إبراهيم به وحان وضعها ذهبت به إلى سرب ظاهر البلد فولدت فيه إبراهيم وتركته هناك وذكر أشياء من خوارق العادات كما ذكرها غيره من المفسرين من السلف والخلف والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان فى هذا المقام مناظرا لقومه مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهيا كل والأصنام فبين فى المقام الأول مع أبيه خطأهم فى عبادة الأصنام الأرضية التى هى على صور الملائكة السماوية ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه وإنما يتوسلون اليه بعبادة ملائكته ليشفعوا لهم عنده فى الرزق والنصر وغير ذلك مما يحتاجون اليه . وبين فى هـذا المقام خطأهم وضلالهم فى عبادة الهيا كل وهى الكواكب السيارة السبعة المتحيرة وهى القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشترى وزحل وأشدهن إضاءة وأشرفهن عندهم الشمس ثم القمر ثم الزهرة فبين أولا صلوات الله وسلامه عليه أن هذه الزهرة لاتصلح للالهية فإنها مسخرة مقدرة بسير معين لاتزيغ عنه يمينا ولا شمالا ولا تملك لنفسها تصرفاً بل هى جرم من الأجرام خلقها الله منيرة لما له فى ذلك من الحكم العظيمة وهى تطلع من المشرق ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه ثم تبدو فى الليلة القابلة على هذا المنوال ومثل هذه لا تصلح للالهية ثم انتقل إلى القمر فبين فيه مثل مابين فى النجم ثم انتقل إلى الشمس كذلك فلما انتفت الالهية عن هذه الأجرام الثلاثة التى هى أنور ما تقع عليه الأبصار وتحقق ذلك بالدليل القاطع (قال ياقوم إنى برىء مما تشركون) أى أنا برىء من عبادتهن وموالاتهن فان كانت آلهة فكيدونى بها جميعا ثم لاتنظرون (إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) أى إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها الذى بيده ملكوت كل شىء وخالق كل شىء وربه ومليكه وإلهه كما قال تعالى (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) وكيف يجوز أن يكون إبراهيم ناظراً فى هذا المقام وهو الذى قال الله فى حقه (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين * إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون) الآيات وقال تعالى (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين * شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم * وآتيناه فى الدنيا حسنة وإنه فى الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) وقال تعالى (قل

(١) فى المكية نجوم (٢) وفيها أيضا الدوالك .

إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) وقد ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « كل مولود يولد على الفطرة » وفى صحيح مسلم عن عياض بن حماد أن رسول الله ﷺ قال « قال الله إنى خلقت عبادى حنفاء » وقال الله فى كتابه العزيز (فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وقال تعالى (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى) ومعناه على أحد القولين كقوله (فطرت الله التى فطر الناس عليها) كما سيأتى بيانه . فاذا كان هذا فى حق سائر الخليقة فكيف يكون إبراهيم الخليل الذى جعله الله أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ناظرا فى هذا المقام بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة والسجية المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولاريب ومما يؤيد أنه كان فى هذا المقام مناظراً لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظرا قوله تعالى

﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن خليله إبراهيم حين جادله قومه فيما ذهب اليه من التوحيد وناظروه بشبه من القول أنه قال (أتحاجونى فى الله وقد هدان) أى تجادلوننى فى أمر الله وأنه لا إله إلا هو وقد بصرنى وهدانى إلى الحق وأنا على بينة منه فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة وقوله (ولا أخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربى شيئاً) أى ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم اليه أن هذه الآلهة التى تعبدونها لاتؤثر شيئاً وأنا لا أخافها ولا أباليها فإن كان لها كيد فكيدونى بها ولا تنظرون بل عاجلونى بذلك . وقوله تعالى (إلا أن يشاء ربى شيئا) استثناء منقطع أى لايضر ولاينفع إلا الله عزوجل (وسع ربى كل شىء علماً) أى أحاط علمه بجميع الأشياء فلا تخفى عليه خافية (أفلا تتذكرون) أى فيما بينته لكم أفلا تعتبرون أن هذه الآلهة باطلة فتنزجروا عن عبادتها وهذه الحجة نظير ما احتج بها نبى الله هود عليه السلام على قومه عاد فيما قص عنهم فى كتابه حيث يقول (قالوا ياهود ماجئتنا ببينة ومانحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعاً ثم لاتنظرون * إنى توكلت على الله ربى وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها) الآية وقوله (وكيف أخاف ما أشركتم) أى كيف أخاف من هذه الأصنام التى تعبدونها من دون الله (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطاناً) قال ابن عباس وغير واحد من السلف أى حجة وهذا كقوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) وقوله تعالى (إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) وقوله (فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون) أى فأى طائفتين أصوب الذى عبد من بيده الضر والنفع أو الذى عبد من لايضر ولا ينفع بلا دليل أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة لاشريك له قال الله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) أى هؤلاء الذى أخلصوا العبادة لله وحده لاشريك له ولم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة المهتدون فى الدنيا والآخرة

قال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) قال أصحابه وأينا لم يظلم نفسه ؟ فنزلت (إن الشرك لظلم عظيم) وقال الإمام أحمد

حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه ؟ قال «إنه ليس الذى تعنون ألم تسمعوا ماقال العبد الصالح (يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) إنما هو الشرك»

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع وابن إدريس عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله قال لما نزلت (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ قالوا وأينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ «ليس كما تظنون إنما قال لابنه (يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) »وحدثنا عمر بن تغلب النمرى حدثنا أبوأحمدحدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فنزلت (إن الشرك لظلم عظيم) رواه البخارى وفى لفظ قالوا أينا لم يظلم نفسه فقال النبى ﷺ « ليس بالذى تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح (إن الشرك لظلم عظيم) إنما هو الشرك » ولابن أبى حاتم عن عبد الله مرفوعا قال (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) قال «بشرك» قال وروى عن أبى بكر الصديق وعمر وأبى بن كعب وسلمان وحذيفة وابن عباس وابن عمر وعمرو بن شرحبيل وأبى عبد الرحمن السلمى ومجاهد وعكرمة والنخعى والضحاك وقتادة والسدى وغير واحد نحو ذلك ، وقال ابن مردويه حدثنا الشافعى حدثنامحمدبن شداد المسمعى حدثنا أبو عاصم حدثنا سفيان الثورى عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) قال رسول الله ﷺ « قيل لى أنت منهم »

وقال الإمام أحمد حدثنا إسحق بن يوسف حدثنا أبو جناب عن زاذان عن جرير بن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما برزنا من المدينة إذا راكب يوضع نحونا فقال رسول الله ﷺ « كأن هذا الراكب إياكم يريد » فانتهى إلينا الرجل فسلم فرددنا عليه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « من أين أقبلت ؟ » قال من أهلى وولدى وعشيرتى قال : « فأين تريد ؟ » قال أريد رسول الله ﷺ قال « فقد أصبته » قال يا رسول الله علمنى ما الإيمان قال « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت » قال قد أقررت قال ثم إن بعيره دخلت يده فى جحر جرذان فهوى بعيره وهوى الرجل فوقع على هامته فمات فقال رسول الله ﷺ « علىّ بالرجل » فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فأقعداه فقالا: يا رسول الله قبض الرجل قال فأعرض عنهما رسول الله ﷺ ثم قال لهما رسول الله ﷺ « أما رأيتما إعراضى عن الرجل فانى رأيت ملكين يدسان فى فيه من ثمار الجنة فعلمت أنه مات جائعا » ثم قال رسول الله ﷺ « هذا من الذين قال الله عز وجل فيهم (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الآية ، ثم قال « دونكم أخاكم » فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنطناه وكفناه وحملناه إلى القبر فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس على شفير القبر فقال « الحدوا ولا تشقوا فان اللحد لنا والشق لغيرنا » ثم رواه أحمد عن أسود بن عامر عن عبد الحميد ابن جعفر الفراء عن ثابت عن زاذان عن جرير بن عبد الله فذكر نحوه وقال فيه هذا ممن عمل قليلا وأجر كثيراً ،

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا يوسف بن موسى القطان حدثنامهران بن أبى عمر حدثنا على بن عبد الله عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كنا مع رسول الله ﷺ فى مسير ساره إذ عرض له أعرابى فقال يا رسول الله والذى بعثك بالحق لقد خرجت من بلادى وتلادى ومالى لأهتدى بهداك وآخذ من قولك وما بلغتك حتى مالى طعام إلا من خضر الأرض فاعرض على فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل فازدحمنا حوله فدخل خف بكره فى بيت جرذان فتردى الأعرابى فانكسرت عنقه فقال رسول الله ﷺ « صدق والذى بعثنى بالحق لقد خرج من بلاده وتلاده وماله ليهتدى بهداى ويأخذ من قولى وما بلغنى حتى ماله طعام إلا من خضر الأرض أسمعتم بالذى عمل قليلا وأجر كثيراً ؟ هذا منهم . أسمتم بالذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ؟ فان هذا منهم » وفى لفظ قال « هذا عمل قليلا وأجر كثيراً » وروى ابن مردويه من

حديث محمد بن يعلى الكوفى وكان نزل الرى حدثنازيادبن خيثمة عن أبى داود عن عبد الله بن سخبرة قال:قال رسول الله ﷺ « من أعطى فشكر ومنع فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر » وسكت قال : فقالوا يا رسول الله ماله ؟ قال (أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) وقوله (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه) أى وجهنا حجته عليهم قال مجاهد وغيره يعنى بذلك قوله (وكيف أخاف ما شركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن) الآية وقد صدقه الله وحكى له بالأمن والهداية فقال (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) ثم قال بعد ذلك كله (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء) قرىء بالاضافة وبلا إضافة كما فى سورة يوسف وكلاهما قريب فى المعنى وقوله (إن ربك حكيم عليم) أى حكيم فى أقواله وأفعاله عليم أى بمن يهديه ومن يضله وان قامت عليه الحجج والبراهين كما قال (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) ولهذا قال ههنا (ان ربك حكيم عليم)

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾

يذكر تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحق بعد أن طعن فى السن وأيس هو وامرأته سارة من الولد فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط فبشروهما بإسحق فتعجبت المرأة من ذلك وقالت (يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشىء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله ؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) فبشروهما مع وجوده بنبوته وبأن له نسلا وعقبا كما قال تعالى(وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين) وهذا أكمل فى البشارة وأعظم فى النعمة وقال (فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب) أى ويولد لهذا المولود ولد فى حياتكما فتقر أعينكما به كما قرت بوالده فإن الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب لضعفه وقعت البشارة به وبولده باسم يعقوب الذى فيه اشتقاق العقب والذرية وكان هذا مجازاة لإبراهيم عليه السلام حين اعتزل قومه وتركهم ونزح عنهم وهاجر من بلادهم ذاهباً الى عبادة الله فى الأرض فعوضه الله عز وجل عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه لتقر بهم عينه كما قال تعالى(فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا) وقال ههنا (ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا) وقوله (ونوحا هدينا من قبل) أى من قبله هديناه كما هديناه ووهبنا له ذرية صالحة وكل منهما له خصوصية عظيمة ، أما نوح عليه السلام فان الله تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به وهم الذين صحبوه فى السفينة جعل الله ذريته هم الباقين فالناس كلهم من ذريته ، وأما الخليل إبراهيم عليه السلام فلم يبعث الله عز وجل بعده نبيا إلا من ذريته كما قال تعالى (وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب) الآية وقال تعالى (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب) وقال تعالى (أولئك الذين أنعم الله عليهم من

النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) وقوله فى هذه الآية الكريمة (ومن ذريته) أى وهدينا من ذريته (داود وسليمان) الآية وعود الضمير إلى نوح لأنه أقرب المذكورين ظاهر لا إشكال فيه وهو اختيار ابن جرير . وعوده إلى إبراهيم لأنه الذى سيق الكلام من أجله حسن لكن يشكل عليه لوط فإنه ليس من ذرية إبراهيم بل هو ابن أخيه هاران بن آزر اللهم إلا أن يقال إنه دخل فى الذرية تغليبا كما فى قوله (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون) فاسماعيل عمه دخل فى آبائه تغليبا ، وكما قال فى قوله (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس) فدخل إبليس فى أمر الملائكة بالسجود وذم على المخالفة لأنه كان فى تشبه بهم فعومل معاملتهم ودخل معهم تغليبا وإلا فهو كان من الجن وطبيعته من النار والملائكة من النور وفى ذكر عيسى عليه السلام فى ذرية إبراهيم أو نوح على القول الآخر دلالة على دخول ولد البنات فى ذرية الرجل لأن عيسى عليه السلام إنما ينسب إلى إبراهيم عليه السلام بأمه مريم عليها السلام فإنه لا أب له . قال ابن أبى حاتم حدثنا سهل ابن يحيى العسكرى حدثنا عبد الرحمن بن ضالح حدثنا على بن عباس عن عبدالله بن عطاء المكى عن أبى حرب بن أبى الأسود قال أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال بلغنى أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبى صلى الله عليه وسلم بجده فى كتاب الله ــ وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده ؟ قال أليس تقرأ سورة الأنعام (ومن ذريته داود وسليمان) حتى بلغ (ويحيى وعيسى) قال بلى . قال أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب ؟ قال صدقت . فلهذا إذا أوصى الرجل لذريته أو وقف على ذريته أو وهبهم دخل أولاد البنات فيهم فأما إذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم فانه يختص بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه واحتجوا بقول الشاعر العربى :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا * بنوهن أبناء الرجال الأجانب

وقال آخرون . ويدخل بنو البنات فيهم أيضا لما ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال للحسن ابن على « إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » فسماه ابنا فدل على دخوله فى الأبناء . وقال آخرون : هذا تجوز ، وقوله (ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم) ذكر أصولهم وفروعهم ، وذوى طبقتهم وأن الهداية والاجتباء شملهم كلهم ولهذا قال (واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم) ثم قال تعالى (ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده) أى إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله وهدايته إياهم (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) تشديد لأمر الشرك وتغليظ لشأنه وتعظيم لملابسته كقوله تعالى (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) الآية ، وهذا شرط والشرط لا يقتضى جواز الوقوع كقوله (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) وكقوله (لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) وكقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) : وقوله تعالى (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) أى أنعمنا عليهم بذلك رحمة للعباد بهم ولطفا منا بالخليقة (فإن يكفر بها) أى بالنبوة ، ويحتمل أن يكون الضمير عائدا على هذه الأشياء الثلاثة الكتاب والحكم والنبوة ، وقوله (هؤلاء) يعنى أهل مكة قاله ابن عباس وسعيد ابن المسيب والضحاك وقتادة والسدى وغير واحد (فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) أى إن يكفر بهذه النعم من كفر بها من قريش وغيرهم من سائر أهل الأرض من عرب وعجم ومليين وكتابيين فقد وكلنا بها قوما آخرين ، أى المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة (ليسوا بها بكافرين) أى لا يجحدون منها شيئا ولا يردون منها حرفا واحدا بل يؤمنون بجميعها محكمها ومتشابهها جعلنا الله منهم بمنه وكرمه وإحسانه ثم قال تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمداً ﷺ (أولئك) يعنى الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والاخوان وهم الأشباه (الذين هدى الله) أى هم أهل الهدى لاغيرهم (فبهداهم اقتده) أى اقتد واتبع ، وإذا كان هذا أمرا للرسول صلى الله عليه وسلم فأمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به قال البخارى عند هذه الآية : حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام أن ابن جريج

أخبرهم قال أخبرنى سليمان الأحول أن مجاهداً أخبره أنه سأل ابن عباس أفى (ص) سجدة ؟ فقال نعم ثم تلا (ووهبنا له إسحق ويعقوب) إلى قوله (فبهداهم اقتده) ثم قال هو منهم ، زاد يزيد بن هرون ومحمد بن عبيد وسهيل بن يوسف عن العوام عن مجاهد قلت لابن عباس فقال نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدى بهم وقوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا) أى لا أطلب منكم على إبلاغى إياكم هذا القرآن أجرا أى أجرة ولا أريد منكم شيئاً (إن هو إلا ذكرى للعالمين) أى يتذكرون به فيرشدوا من العمى إلى الهدى ، ومن الغى إلى الرشاد ومن الكفر إلى الإيمان

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ * وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾

يقول الله تعالى وما عظموا الله حق تعظيمه إذ كذبوا رسله اليهم : قال ابن عباس ومجاهد وعبد الله بن كثير نزلت فى قريش واختاره ابن جرير ، وقيل نزلت فى طائفة من اليهود . وقيل فى فنحاص رجل منهم . وقيل فى مالك بن الصيف (قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء) والاول أصح لأن الآية مكية واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرون إرسال محمد ﷺ لأنه من البشر كما قال (أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس) وكقوله تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) وقال هاهنا (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء) قال الله تعالى (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس) أى قل يا محمد لهؤلاء المنكرين لإنزال شىء من الكتب من عند الله فى جواب سلبهم العام باثبات قضية جزئية موجبة (من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى) وهو التوراة التى قد علمتم وكل أحد أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران نورا وهدى للناس أى ليستضاء بها فى كشف المشكلات ويهتدى بها من ظلم الشبهات وقوله (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) أى تجعلون جملتها قراطيس أى قطعا تكتبونها من الكتاب الأصلى الذى بأيديكم وتحرفون منها ما تحرفون وتبدلون وتتأولون وتقولون هذا من عند الله أى فى كتابه المنزل وما هو من عند الله ولهذا قال (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) وقوله تعالى (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) أى ومن أنزل القرآن الذى علمكم الله فيه من خبر ما سبق ونبأ ما يأتى ما لم تكونوا تعلمون ذلك لا أنتم ولا آباؤكم وقد قال قتادة : هؤلاء مشركو العرب[1] وقال مجاهد هذه للمسلمين وقوله تعالى (قل الله) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أى قل الله أنزله ، وهذا الذى قاله ابن عباس هو المتعين فى تفسير هذه الكلمة ، لما قاله بعض المتأخرين من أن معنى (قل الله) أى لا يكون خطابك لهم إلا هذه الكلمة كلمة « الله » وهذا الذى قاله هذا القائل يكون أمرا بكلمة مفردة من غير تركيب والاتيان بكلمة مفردة لا يفيد فى لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها ، وقوله (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) أى ثم دعهم فى جهلهم وضلالهم يلعبون حتى يأتيهم من الله اليقين فسوف يعلمون ألهم العاقبة أم لعباد الله المتقين ؟ وقوله (وهذا كتاب) يعنى القرآن (أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى) يعنى مكة (ومن حولها) من أحياء العرب ومن سائر طوائف بنى آدم من عرب وعجم كما قال فى الآية الأخرى (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا) وقال (لأنذركم به ومن بلغ) وقال (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) وقال (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) وقال (وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) وثبت فى

(١) قيل إن هذه نزلت مرتين مرة بمكة والخطاب فيها للمشركين . ولعلها قراءة ابن كثير وأبى عمرو يجعلونه بالياء ، ومرة بالمدينة . ولعلها قراءة تجعلونه بالتاء لأنه خطاب لليهود .

الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى » وذكر منهن « وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » ولهذا قال (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) أى كل من آمن بالله واليوم الآخر يؤمن بهذا الكتاب المبارك الذى أنزلناه إليك يا محمد وهو القرآن (وهم على صلاتهم يحافظون) أى يقيمون بما فرض عليهم من أداء الصلوات فى أوقاتها

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾

يقول تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أى لا أحد أظلم ممن كذب على الله فجعل له شركاء أو ولدا أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس ولم يرسله ولهذا قال تعالى (أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شىء) قال عكرمة وقتادة نزلت فى مسيلمة الكذاب (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) أى ومن ادعى أنه يعارض ما جاء من عند الله من الوحى مما يفتريه من القول كقوله تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) الآية قال الله تعالى (ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت) أى فى سكراته وغمراته وكرباته (والملائكة باسطو أيديهم) أى بالضرب كقوله (لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى) الآية وقوله (يبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) الآية وقال الضحاك وأبو صالح باسطو أيديهم أى بالعذاب كقوله (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) ولهذا قال (والملائكة باسطو أيديهم) أى بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أحسادهم ولهذا يقولون لهم (أخرجوا أنفسكم) وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم فتتفرق روحه فى جسده وتعصى وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم (أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق) الآية أى اليوم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله ، وقد وردت الأحاديث المتواترة فى كيفية احتضار المؤمن والكافر وهى مقررة عند قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) وقد ذكر ابن مردويه ههنا حديثا مطولا جداً من طريق غريبة عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا فالله أعلم ، وقوله (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة) أى يقال لهم يوم معادهم هذا كما قال (وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) أى كما بدأناكم أعدناكم وقد كنتم تنكرون ذلك وتستبعدونه فهذا يوم البعث ، وقوله (وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) أى من النعم والأموال التى اقتنيتموها فى الدار الدنيا وراء ظهوركم ، وثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت ، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس » وقال الحسن البصرى : يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج فيقول الله عز وجل أين ما جمعت ؟ فيقول يا رب جمعته وتركته أوفر ما كان فيقول له يا ابن آدم أين ما قدمت لنفسك ؟ فلا يراه قدم شيئا ، وتلا هذه الآية (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) الآية رواه ابن أبى حاتم ، وقوله (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) تقريع لهم وتوبيخ على ما كانوا اتخذوا فى الدنيا من الأنداد والأصنام والأوثان ظانين أنها تنفعهم فى معاشهم ومعادهم إن كان ثم معاد فإذا كان

يوم القيامة تقطعت بهم الأسباب وانزاح الضلال وضل عنهم ما كانوا يفترون وناديهم الرب جل جلاله على رءوس الخلائق . (أين شركائى الذين كنتم تزعمون ؟) ويقال لهم (أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون ؟) ولهذا قال ههنا (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) أى فى العبادة لهم فيكم قسط فى استحقاق العبادة لهم ، ثم قال تعالى (لقد تقطع بينكم) قرىء بالرفع أى شملكم وبالنصب أى لقد تقطع [1] ما بينكم من الأسباب والوصلات والوسائل (وضل عنكم) أى ذهب عنكم (ما كنتم تزعمون) من رجاءى الأصنام والأنداد كقوله تعالى (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب * وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار) وقال تعالى (فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وقال تعالى (إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) وقال (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) الآية وقال (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا) إلى قوله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) والآيات فى هذا كثيرة جدا

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه فالق الحب والنوى أى يشقه فى الثرى فتنبت منه الزروع على اختلاف أصنافها من الحبوب والثمار على اختلاف ألوانها وأشكالها وطعومها من النوى ولهذا فسر قوله (فالق الحب والنوى) بقوله (يخرج من الحى من الميت ومخرج الميت من الحى) أى يخرج النبات الحى من الحب والنوى الذى هو كالجماد الميت كقوله (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون) إلى قوله (ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) وقوله (ومخرج الميت من الحى) معطوف على (فالق الحب والنوى) ثم فسره ثم عطف عليه قوله (ومخرج الميت من الحى) وقد عبروا عن هذا وهذا بعبارات كلها متقاربة مؤدية للمعنى ، فمن قائل يخرج الدجاجة من البيضة وعكسه ومن قائل يخرج الولد الصالح من الفاجر وعكسه وغير ذلك من العبارات التى تنتظمها الآية وتشملها

ثم قال تعالى (ذلكم الله) أى فاعل هذا هو الله وحده لا شريك له (فأنى تؤفكون) أى كيف تصرفون عن الحق وتعدلون عنه إلى الباطل فتعبدون معه غيره وقوله (فالق الاصباح وجعل الليل سكنا) أى خالق الضياء والظلام كما قال فى أول السورة (وجعل الظلمات والنور) أى فهو سبحانه يفلق ظلام الليل عن غرة الصباح فيضىء الوجود ، ويستنير الأفق ، ويضمحل الظلام ، ويذهب الليل بسواده وظلام رواقه ، ويجىء النهار بضيائه وإشراقه ، كقوله (يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا) فبين تعالى قدرته على خلق الأشياء المتضادة المختلفة الدالة على كمال عظمته وعظيم سلطانه فذكر أنه فالق الاصباح وقابل ذلك بقوله (وجعل الليل سكنا) أى ساجيا مظلما لتسكن فيه الأشياء كما قال (والضحى والليل إذا سجى) وقال (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) وقال (والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها) وقال صهيب الرومى رضى الله عنه لامرأته وقد عاتبته فى كثرة سهره : إن الله جعل الليل سكنا إلا لصهيب إن صهيبا إذ ذكر الجنة طال شوقه وإذا ذكر النار طار نومه رواه ابن أبى حاتم. وقوله (والشمس والقمر حسبانا) أى يجريان بحساب مقنن مقدر لا يتغير ولا يضطرب بل لكل منهما منازل يسلكها فى الصيف والشتاء فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولا وقصرا كما قال (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل) الآية وكما قال (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) وقال (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) وقوله (ذلك تقدير العزيز العليم) أى الجميع جار بتقدير العزيز الذى لا يمانع ولا يخالف ، العليم بكل شىء فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ،

(١) فى نسخة الأزهر : انقطع .

وكثيرا ماإذا ذكرالله تعالى خلق الليل والنهار والشمس والقمر يختم الكلام بالعزة والعلم كماذكر فى هذه الآية وكما فى قوله (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذاهم مظلمون * والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) ولماذكر خلق السموات والأرض ومافيهن فى أول سورة حم السجدة قال (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم) وقوله تعالى (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) قال بعض السلف من اعتقد فى هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله سبحانه : أن الله جعلها زينة للسماء ورجوما للشياطين ويهتدى بها فى ظلمات البر والبحر. وقوله (قد فصلنا الآيات) أى قد بيناها ووضحناها (لقوم يعلمون) أى يعقلون ويعرفون الحق ويتجنبون الباطل

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِى أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة) يعنى آدم عليه السلام ، كما قال (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وقوله (فمستقر ومستودع) اختلفوا فى معنى ذلك فعن ابن مسعود وابن عباس وأبى عبد الرحمن السلمى وقيس بن أبى حازم ومجاهد وعطاء وإبراهيم النخعى والضحاك وقتادة والسدى وعطاء الخراسانى وغيرهم (فمستقر) أى فى الأرحام قالوا أو أكثرهم (ومستودع) أى فى الأصلاب وعن ابن مسعود وطائفة عكسه وعن ابن مسعود أيضا وطائفة فمستقر فى الدنيا ومستودع حيث يموت ، وقال سعيد بن جبير فمستقر فى الأرحام وعلى ظهر الأرض وحيث يموت ، وقال الحسن البصرى المستقر الذى قد مات فاستقر به عمله . وعن ابن مسعود ومستودع فى الدار الآخرة والقول الأول أظهر والله أعلم ، وقوله تعالى (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) أى يفهمون ويعون كلام الله ومعناه ، وقوله تعالى (وهو الذى أنزل من السماء ماء) أى بقدر مباركا ورزقا للعباد وإحياء وغياثا للخلائق رحمة من الله بخلقه (فأخرجنا به نبات كل شىء) كقوله (وجعلنا من الماء كل شىء حى) (فأخرجنا منه خضرا) أى زرعا وشجرا أخضر ثم بعد ذلك نخلق فيه الحب والثمر ولهذا قال تعالى (نخرج منه حبا متراكبا) أى يركب بعضه بعضا كالسنابل ونحوها (ومن النخل من طلعها قنوان) أى جمع قنو وهى عذوق الرطب (دانية) أى قريبة من المتناول كما قال على بن أبى طلحة الوالبى عن ابن عباس (قنوان دانية) يعنى بالقنوان الدانية قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض رواه ابن جرير . قال ابن جرير وأهل الحجاز يقولون قنوان وقيس يقول قنوان . قال امرؤ القيس :

فأثت أعاليه وآدت أصوله * ومال بقنوان من البسر أحمرا

قال وتميم يقولون قنيان بالياء قال وهى جمع قنو كما أن صنوان جمع صنو وقوله تعالى (وجنات من أعناب) أى ونخرج منه جنات من أعناب وهذان النوعان هما أشرف الثمار عند أهل الحجاز وربما كانا خيار الثمار فى الدنيا كما امتن الله بهما على عباده فى قوله تعالى (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) وكان ذلك قبل تحريم الخمر وقال (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) وقوله تعالى (والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه) قال قتادة وغيره متشابه فى الورق والشكل قريب بعضه من بعض ومتخالف فى الثمار شكلا وطعما وطبعا وقوله تعالى (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه) أى نضجه قاله البراء بن عازب وابن عباس والضحاك وعطاء الخراسانى والسدى وقتادة وغيرهم أى فكروا فى قدرة خالقه من العدم إلى الوجود بعد أن كان حطبا صار عنبا ورطبا وغير ذلك مما خلق سبحانه وتعالى من الألوان والأشكال والطعوم والروائح كقوله تعالى (وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من

أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل) الآية ولهذا قال هاهنا (إن فى ذلكم) أيها الناس (لآيات) أى دلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته (لقوم يؤمنون) أى يصدقون به ويتبعون رسله

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

هذا رد على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره وأشركوا به فى عبادته أن عبدوا الجن فجعلوهم شركاء له فى العبادة تعالى الله عن شركهم وكفرهم . فان قيل فكيف عبدت الجن مع أنهم إنما كانوا يعبدون الأصنام ؟ فالجواب أنهم ماعبدوها إلا عن طاعة الجن وأمرهم إياهم بذلك كقوله (إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يعبدون إلا شيطانا مريدا * لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا * ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبيناً * يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) وكقوله تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى) الآية وقال إبراهيم لأبيه (يا أبت لاتعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا) وكقوله (ألم أعهد إليكم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم) وتقول الملائكة يوم القيامة (سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) ولهذا قال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم) أى وقد خلقهم فهو الخالق وحده لاشريك له فكيف يعبد معه غيره كقول إبراهيم (أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وماتعملون) ومعنى الآية أنه سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق وحده فلهذا يجب أن يفرد بالعبادة وحده لاشريك له وقوله تعالى (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) ينبه به تعالى على ضلال من ضل فى وصفه تعالى بأن له ولداً كما يزعم من قاله من اليهود فى عزير ومن قال من النصارى فى عيسى ومن قال من مشركى العرب فى الملائكة انها بنات الله (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا) ومعنى وخرقوا أى اختلقوا وافتعلوا وتخرصوا وكذبوا كما قاله علماء السلف قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس وخرقوا يعنى تخرصوا وقال العوفى عنه (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) قال جعلوا له بنين وبنات وقال مجاهد (وخرقوا له بنين وبنات) قال كذبوا وكذا قال الحسن وقال الضحاك وضعوا وقال السدى قطعوا قال ابن جرير وتأويله إذاً : وجعلوا لله الجن شركاء فى عبادتهم إياهم وهو المتفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولاظهير (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) بحقيقة مايقولون ولكن جهلا بالله وبعظمته فانه لاينبغى لمن كان إلها أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة ولا أن يشركه فى خلقه شريك ولهذا قال (سبحانه وتعالى عما يصفون) أى تقدس وتنزه وتعاظم عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون من الاولاد والانداد والنظراء والشركاء

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(بديع السموات والأرض) أى مبدعهما وخالقهما ومنشئهما ومحدثهما على غير مثال سبق كما قال مجاهد والسدى ومنه سميت البدعة بدعة لانه لانظير لها فيما سلف (أنى يكون له ولد) أى كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة أى والولد إنما يكون متولدا بين شيئين متناسبين والله تعالى لايناسبه ولايشابهه شىء من خلقه لانه خالق كل شىء فلا صاحبة له ولا ولد كما قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إدا) إلى قوله (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) (وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم) فبين تعالى أنه الذى خلق كل شىء وأنه بكل شىء عليم فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه وهو الذى لانظير له فأنى يكون له ولد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

يقول تعالى (ذلكم الله ربكم) أى الذى خلق كل شىء ولا ولد له ولا صاحبة (لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه) أى فاعبدوه وحده لا شريك له وأقروا له بالوحدانية وأنه لا إله إلا هو وأنه لا ولد له ولا والد ولا صاحبة له ولا نظير ولا عديل (وهو على كل شىء وكيل) أى حفيظ ورقيب يدبر كل ما سواه ويرزقهم ويكلأهم بالليل والنهار وقوله (لا تدركه الأبصار) فيه أقوال للأئمة من السلف (أحدها) لا تدركه فى الدنيا وإن كانت تراه فى الآخرة كما تواترت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ما طريق ثابت فى الصحاح والمسانيد والسنن كما قال مسروق عن عائشة أنها قالت من زعم أن محمداً أبصر ربه فقد كذب وفى رواية على الله فان الله تعالى قال (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) رواه ابن أبى حاتم من حديث أبى بكر بن عياش عن عاصم بن أبى النجود عن أبى الضحى عن مسروق ورواه غير واحد عن مسروق وثبت فى الصحيح وغيره عن عائشة من غير وجه وخالفها ابن عباس فعنه إطلاق الرؤية وعنه أنه رآه بفؤاده مرتين والمسئلة تذكر فى أول سورة النجم إن شاء الله ، وقال ابن أبى حاتم ذكر محمد بن مسلم حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقى حدثنا يحيى بن معين قال سمعت إسماعيل بن علية يقول فى قول الله تعالى (لا تدركه الأبصار) قال هذا فى الدنيا، وذكر أبى عن هشام بن عبيد الله أنه قال نحو ذلك. وقال آخرون (لا تدركه الأبصار) أى جميعها وهذا مخصص بما ثبت من رؤية المؤمنين له فى الدار الآخرة ، وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الآية أنه لا يرى فى الدنيا ولا فى الآخرة فخالفوا أهل السنة والجماعة فى ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله . أما الكتاب فقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال تعالى عن الكافرين (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال الإمام الشافعى فدل هذا على أن المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى . أما السنة فقد تواترت الأخبار عن أبى سعيد وأبى هريرة وأنس وجرير وصهيب وبلال وغير واحد من الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم أن المؤمنين يرون الله فى الدار الآخرة فى العرصات وفى روضات الجنات جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه آمين وقيل المراد بقوله (لا تدركه الأبصار) أى العقول رواه ابن أبى حاتم عن على بن الحسين عن الفلاس عن ابن مهدى عن أبى الحصين يحيى بن الحصين قارىء أهل مكة أنه قال ذلك وهذا غريب جداً وخلاف ظاهر الآية وكأنه اعتقد أن الإدراك فى معنى الرؤية والله أعلم

وقال آخرون لا منافاة بين إثبات الرؤية ونفى الادراك وأخص من الرؤية فإن الإدراك لا يلزم من نفى الأخص انتفاء الأعم . ثم اختلف هؤلاء فى الادراك المنفى ما هو فقيل معرفة الحقيقة فان هذا لا يعلمه إلا هو وإن رآه المؤمنون كما أن من رأى القمر فانه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته فالعظيم أولى بذلك وله المثل الأعلى . قال ابن علية فى الآية هذا فى الدنيا رواه ابن أبى حاتم

وقال آخرون الادراك أخص من الرؤية وهو الاحاطة قالوا ولا يلزم من عدم الاحاطة عدم الرؤية كما لا يلزم من عدم إحاطة العلم عدم العلم قال تعالى (ولا يحيطون به علما) وفى صحيح مسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ولا يلزم منه عدم الثناء فكذلك هذا. قال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) قال لا يحيط بصر أحد بالملك وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد حدثنا أسباط عن سماك عن عكرمة أنه قيل له (لا تدركه الأبصار) قال ألست ترى السماء ؟ قال بلى قال فكلها ترى؟ وقال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة فى الآية (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) هو أعظم من أن تدركه الأبصار

وقال ابن جرير حدثنا سعد بن عبدالله بن عبدالحكم حدثنا خالد بن عبدالرحمن حدثنا أبو عرفجة عن عطية العوفى فى قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) قال هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره محيط بهم فذلك قوله (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) وورد فى تفسير هذه الآية حديث رواه ابن أبى حاتم ههنا فقال حدثنا أبو زرعة حدثنا منجاب بن الحارث السهمى حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) قال « لو أن الجن والإنس

والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا صفوا صفاً واحداً ما أحاطوا بالله أبدا » غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة والله أعلم

وقال آخرون فى الآية بما رواه الترمذى فى جامعه وابن أبى عاصم فى كتاب السنة له وابن أبى حاتم فى تفسيره وابن مردويه أيضا والحاكم فى مستدركه من حديث الحكم بن أبان قال سمعت عكرمة يقول سمعت ابن عباس يقول رأى محمد ربه تبارك وتعالى فقلت أليس الله يقول (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) الآية فقال لى لا أم لك ذلك نوره الذى هو نوره إذا تجلى بنوره لا يدركه شىء، وفى رواية لا يقوم له شىء ، قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وفى معنى هذا الأثر ما ثبت فى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه مرفوعا « إن الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل النهار قبل الليل وعمل الليل قبل النهار حجابه النور - أو النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » وفى الكتب المتقدمة إن الله تعالى قال لموسى لما سأل الرؤية : يا موسى إنه لا يرانى حى إلا مات ولا يابس إلا تدهده .أى تدعثر وقال تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) ونفى هذا الأثر الادراك الخاص لا ينفى الرؤية يوم القيامة يتجلى لعباده المؤمنين كما يشاء فأما جلاله وعظمته على ما هو عليه تعالى وتقدس وتنزه فلا تدركه الأبصار ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تثبت الرؤية فى الدار الآخرة وتنفيها فى الدنيا وتحتج بهذه الآية (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) فالذى نفته الادراك الذى هو بمعنى رؤية العظمة والجلال على ما هو عليه فان ذلك غير ممكن للبشر ولا للملائكة ولا لشىء وقوله (وهو يدرك الأبصار) أى يحيط بها ويعلمها على ما هى عليه لأنه خلقها كما قال تعالى (ألا يعلم من خلق هو اللطيف الخبير) وقد يكون عبر بالأبصار عن المبصرين كما قال السدى فى قوله (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) لا يراه شىء وهو يرى الخلائق وقال أبو العالية فى قوله تعالى (وهو اللطيف الخبير) قال اللطيف لاستخراجها الخبير بمكانها والله أعلم وهذا كما قال تعالى إخباراً عن لقمان فيما وعظ به ابنه (يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها إن الله لطيف خبير)

﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ * وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

البصائر هى البينات والحجج التى اشتمل عليها القرآن وما جاء به الرسول ﷺ (فمن أبصر فلنفسه) كقوله (فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) ولهذا قال (ومن عمى فعليها) لما ذكر البصائر قال (ومن عمى فعليها) أى إنما يعود وباله عليه كقوله (فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) (وما أنا عليكم بحفيظ) أى بحافظ ولا رقيب بل إنما أنا مبلغ والله يهدى من يشاء ويضل من يشاء وقوله (وكذلك نصرف الآيات) أى وكما فصلنا الآيات فى هذه السورة من بيان التوحيد وأنه لا إله إلا هو هكذا نوضح الآيات ونفسرها ونبينها فى كل موطن لجهالة الجاهلين وليقول المشركون والكافرون المكذبون دارست يا محمد من قبلك من أهل الكتاب وقارأتهم وتعلمت منهم هكذا قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم وقال الطبرانى حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا أبى حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن كيسان قال سمعت ابن عباس يقول دارست تلوت خاصمت جادلت وهذا كقوله تعالى إخبارا عن كذبهم وعنادهم (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزورا وقالوا أساطير الأولين اكتتبها) الآية وقال تعالى إخبارا عن زعيمهم وكاذبهم (إنه فكر وقدر، فقتل كيف قدر، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ثم عبس وبسر، ثم أدبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر) ، وقوله (ولنبينه لقوم يعلمون) أى ولنوضحه لقوم

يعلمون الحق فيتبعونه والباطل فيجتنبونه فالله تعالى الحكمة البالغة فى إضلال أولئك وبيان الحق لهؤلاء كقوله تعالى (يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً) الآية وكقوله (ليجعل مايلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الله لهادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) وقال تعالى (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا * كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ومايعلم جنود ربك إلا هو) وقال (وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) وقال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى أنزل القرآن هدى للمتقين وأنه يضل به من يشاء ويهدى به من يشاء ولهذا قال هاهنا (وكذلك نصرف الآيات وليقولوا دارست ولنبينه لقوم يعلمون) وقرأ بعضهم (درست) قال التيمى عن ابن عباس درست أى قرأت وتعلمت وكذا قال مجاهد والسدى والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وقال عبد الرزاق عن معمر قال الحسن (وليقولوا درست) يقول تقادمت وانمحت وقال عبد الرزاق أيضا أنبأنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار سمعت ابن الزبير يقول إن صبيانا يقرأون هاهنا دارست وإنما هى درست وقال شعبة حدثنا أبو إسحق الهمدانى قال هى فى قراءة ابن مسعود درست يعنى بغير ألف بنصب السين ووقف على التاء قال ابن جرير ومعناه انمحت وتقادمت أى أن هذا الذى تتلوه علينا قد مر بنا قديما وتطاولت مدته وقال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة أنه قرأها درست أى قرئت وتعلمت وقال معمر عن قتادة درست قرئت وفى حرف ابن مسعود درس وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا حجاج عن هرون قال هى فى حرف أبى بن كعب وابن مسعود وليقولوا درس قال يعنون النبى ﷺ أنه قرأ وهذا غريب فقد روى عن أبى بن كعب خلاف هذا قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا الحسن بن ليث حدثنا أبو سلمة حدثنا أحمد بن أبى بزة[1] المكى حدثنا وهب بن زمعة عن أبيه عن حميد الأعرج عن مجاهد عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وليقولوا درست) ورواه الحاكم فى مستدركه من حديث وهب بن زمعة وقال يعنى بجزم السين ونصب التاء ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه

﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ .

يقول تعالى آمرا لرسوله صلى الله عليه وسلم ولمن اتبع طريقته (اتبع ما أوحى إليك من ربك) أى اقتد به واقتف أثره واعمل به فإن ما أوحى اليك من ربك هو الحق الذى لامرية فيه لأنه لاإله إلا هو (وأعرض عن المشركين) أى اعف عنهم واصفح واحتمل أذاهم حتى يفتح الله لك وينصرك ويظفرك عليهم واعلم أن لله حكمة فى إضلالهم فانه لوشاء لهدى الناس جميعا ولو شاء لجمعهم على الهدى (ولو شاء الله ما أشركوا) أى بل له المشيئة والحكمة فيما يشاؤه ويختاره لايسأل عما يفعل وهم يسألون وقوله تعالى (وما جعلناك عليهم حفيظا) أى حافظا تحفظ أقوالهم وأعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) أى موكل على أرزاقهم وأمورهم (إن عليك إلا البلاغ) كما قال تعالى (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر) وقال (إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب)

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(١) فى النسخة الأميرية : أبى نسرة .

يقول الله تعالى ناهياً لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها وهى مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين وهو (الله لا إله إلا هو) كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى هذه الآية قالوا يا محمد لتنتهين عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم (فيسبوا الله عدواً بغير علم) وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار الله عدواً بغير علم فأنزل الله (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) وروى ابن جرير وابن أبى حاتم عن السدى أنه قال فى تفسير هذه الآية لما حضر أبا طالب الموت قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه فإنا نستحيي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعهم فلما مات قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبى ابنا خلف وعقبة بن أبى معيط وعمرو بن العاص والأسود بن البخترى وبعثوا رجلا منهم يقال له المطلب قالوا استأذن لنا على أبى طالب فأتى أباطالب فقال هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك فأذن لهم عليه فدخلوا عليه فقالوا يا أباطالب أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه وإلهه فدعاه فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال له أبوطالب هؤلاء قومك وبنو عمك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماتريدون ؟ » قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا ولندعك وإلهك فقال النبى ﷺ « أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطى كلمة إن تكلمتم بها ملكتم بها العرب ودانت لكم بها العجم وأدت لكم الخراج » قال أبوجهل وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها قالوا فما هى ؟ قال « قولوا لاإله إلاالله » فأبوا واشمأزوا قال أبوطالب يا ابن أخى قل غيرها فان قومك قد فزعوا منها قال « ياعم ما أنا بالذى يقول غيرها حتى يأتوا بالشمس فيضعوها فى يدى ولو أتوا بالشمس فوضعوها فى يدى ما قلت غيرها » إرادة أن يؤيسهم فغضبوا وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أولنشتمنك ونشتمن من يأمرك فذلك قوله (فيسبوا الله عدواً بغير علم) ومن هذا القبيل وهو ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها ماجاء فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ملعون من سب والديه » قالوا يارسول الله وكيف يسب الرجل والديه ، قال « يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه » أوكما قال صلى الله عليه وسلم وقوله (كذلك زينا لكل أمة عملهم) أى وكما زينا لهؤلاء القوم حب أصنامهم والمحاماة لها والانتصار كذلك زينا لكل أمة أى من الأمم الخالية على الضلال عملهم الذى كانوا فيه ولله الحجة البالغة والحكمة التامة فما يشاؤه ويختاره (ثم إلى ربهم مرجعهم) أى معادهم ومصيرهم (فينبئهم بما كانو يعملون) أى يجازيهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

يقول تعالى إخبارا عن المشركين أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم أى حلفوا أيماناً مؤكدة (لئن جاءتهم آية) أى معجزة وخارق (ليؤمنن بها) أى ليصدقنها (قل إنما الآيات عندالله) أى قل يامحمد لهؤلاء الذين يسألونك الآيات تعنتا وكفرا وعنادا لاعلى سبيل الهدى والاسترشاد إنما مرجع هذه الآيات إلى الله إن شاء جاءكم بها وإن شاء تركتكم قال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا يونس بن بكير حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظى قال كلم رسول الله ﷺ قريش فقالوا يامحمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة فأتنا من الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أى شىء تحبون أن آتيكم به ، » قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا فقال لهم « فان فعلت تصدقونى » قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعون فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا فجاءه جبريل عليه السلام فقال له ماشئت إن شئت أصبح الصفا ذهبا ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك ليعذبنهم ، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بل يتوب تائبهم » فأنزل الله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) الى قوله تعالى (ولكن أكثرهم يجهلون)

وهذا مرسل وله شواهد من وجوه أخر . وقال الله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) الآية وقوله تعالى (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) قيل المخاطب بما يشعركم المشركون ، وإليه ذهب مجاهد كأنه يقول لهم وما يدريكم بصدقكم فى هذه الأيمان التى تقسمون بها وعلى هذا فالقراءة (إنها إذا جاءت لا يؤمنون) بكسر إنها على استئناف الخبر عنهم بنفى الأيمان عند مجىء الآيات التى طلبوها ، وقرأ بعضهم (أنها إذا جاءت لاتؤمنون) بالتاء المثناة من فوق وقيل المخاطب بقوله وما يشعركم المؤمنون يقول وما يدريكم أيها المؤمنون وعلى هذا فيجوز فى قوله (انها) الكسر كالأول والفتح على أنه معمول يشعركم وعلى هذا فتكون لا فى قوله (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) صلة كقوله (ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك) وقوله(وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون) أى مامنعك أن تسجد إذ أمرتك وحرام أنهم لا يرجعون وتقديره فى هذه الآية وما يدريكم أيها المؤمنون الذين تودون لهم ذلك حرصاً على إيمانهم أنها إذا جاءتهم الآيات يؤمنون قال بعضهم أنها بمعنى لعلها قال ابن جرير وذكروا أن ذلك كذلك فى قراءة أبى بن كعب قال وقد ذكر عن العرب سماعا اذهب إلى السوق انك تشترى لنا شيئاً بمعنى لعلك تشترى قال وقد قيل إن قول عدى ابن زيد العبادى من هذا :

أعاذل ما يدريك أن منيتى * إلى ساعة فى اليوم أو فى ضحى الغد

وقد اختار هذا القول ابن جرير وذكر عليه من شواهد أشعار العرب والله أعلم . وقوله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) قال العوفى عن ابن عباس فى هذه الآية لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شىء وردّت عن كل أمر وقال مجاهد فى قوله (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) ونحول بينهم وبين الإيمان ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة وكذا قال عكرمة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال ابن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال أخبر الله ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه وقال (ولا ينبئك مثل خبير) جل وعلا (أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله) إلى قوله (لو أن لى كرة فأكون من المحسنين) فأخبر الله سبحانه أنهم لو ردوا لم يكونوا على الهدى وقال (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) وقال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) وقال ولو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم فى الدنيا وقوله (ونذرهم) أى نتركهم (فى طغيانهم) قال ابن عباس والسدى فى كفرهم . وقال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة فى ضلالهم (يعمهون) قال الأعمش يلعبون وقال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية والربيع وأبو مالك وغيره فى كفرهم يترددون

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾

يقول تعالى ولو أننا أجبنا سؤال هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها فنزلنا عليهم الملائكة تخبرهم بالرسالة من الله بتصديق الرسل كما سألوا فقالوا (أو تأتى بالله والملائكة قبيلا) و(قالوا لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا نزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا) (وكلمهم الموتى) أى فأخبروهم بصدق ما جاءتهم به الرسل (وحشرنا عليهم كل شىء قبلا) قرأ بعضهم قبلا بكسر القاف وفتح الباء من المقابلة والمعاينة وقرأ آخرون بضمهما قيل معناه من المقابلة والمعاينة أيضا كما رواه على بن أبى طلحة والعوفى عن ابن عباس وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال مجاهد قبلا أى أفواجا قبيلا قبيلا أى تعرض عليهم كل أمة بعد أمة فيخبرونهم بصدق الرسل فيما جاء وهم به (ماكانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) أى إن الهداية إليه لا إليهم بل يهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو الفعال لما يريد (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) لعلمه وحكمته وسلطانه وقهره وغلبته وهذه الآية كقوله تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم)

﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾

يقول تعالى وكما جعلنا لك يا محمد أعداء يخالفونك ويعادونك ويعاندونك جعلنا لكل نبي من قبلك أيضا أعداء فلا يحزنك ذلك كما قال تعالى (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) الآية وقال تعالى (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) الآية وقال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودى ، وقوله (شياطين الإنس والجن) بدل من (عدوا) أى لهم أعداء من شياطين الإنس والجن ، والشيطان كل من خرج عن نظيره بالشر ولا يعادى الرسل إلا الشياطين من هؤلاء وهؤلاء قبحهم الله ولعنهم ، قال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة فى قوله (شياطين الإنس والجن) قال من الجن شياطين ومن الإنس شياطين يوحى بعضهم إلى بعض ، قال قتادة وبلغنى أن أبا ذر كان يوما يصلى فقال النبى ﷺ « تعوذ يا أبا ذر من شياطين الإنس والجن » فقال أو إن من الإنس شياطين فقال رسول الله ﷺ « نعم » وهذا منقطع بين قتادة وأبى ذر . وقد روى من وجه آخر عن أبى ذر رضى الله عنه ، قال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا أبو صالح حدثنى معاوية بن صالح عن أبى عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة عن ابن عائذ عن أبى ذر قال أتيت رسول الله ﷺ فى مجلس قد أطال فيه الجلوس قال: فقال « يا أبا ذر هل صليت » قلت لا يا رسول الله قال « قم فاركع ركعتين » قال ثم جئت فجلست إليه فقال « يا أبا ذر هل تعوذت بالله من شياطين الجن والإنس » قال قلت لا يا رسول الله وهل للانس من شياطين ؟ قال « نعم هم شر من شياطين الجن » وهذا أيضا فيه انقطاع ، وروى متصلا كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا المسعودى أنبأنى أبو عمر الدمشقى عن عبيد بن الحسيحاس[1] عن أبى ذر قال أتيت النبى ﷺ وهو فى المسجد فجلست فقال « يا أبا ذر هل صليت ؟ » قلت لا قال « قم فصل » قال فقمت فصليت ثم جلست فقال « يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن » قال قلت يا رسول الله وللانس شياطين ؟ قال « نعم » وذكر تمام الحديث بطوله وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه فى تفسيره من حديث جعفر بن عون ويعلى بن عبيد وعبيد الله بن موسى ثلاثتهم عن المسعودى به .

(طريق أخرى عن أبى ذر) قال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا الحجاج حدثنا حماد عن حميد بن هلال حدثنى رجل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن أبى ذر أن رسول الله ﷺ قال « يا أبا ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الإنس والجن » قال قلت يا رسول الله هل للانس من شياطين ؟ قال « نعم »

(طريق أخرى للحديث) قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصى حدثنا أبو المغيرة حدثنا معاذ بن رفاعة عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « يا أبا ذر تعوذت من شياطين الجن والإنس » قال يا رسول الله وهل للانس شياطين ؟ قال « نعم (شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعضهم زخرف القول غرورا) » وقوله (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) فهذه طرق لهذا الحديث ومجموعها يفيد قوته وصحته والله أعلم ، قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو نعيم عن شريك عن سعيد بن مسروق عن عكرمة (شياطين الإنس والجن) قال ليس فى الانس شياطين ولكن شياطين الجن يوحون إلى شياطين الانس وشياطين الانس يوحون إلى شياطين الجن ، قال وحدثنا الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا إسرائيل عن السدى عن عكرمة فى قوله (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) قال للانس شياطين وللجن شياطين فيلقى شيطان الانس شيطان الجن فيوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ، وقال أسباط عن السدى عن عكرمة فى قوله (يوحى بعضهم إلى بعض)

(١) فى نسخة الأميرية : مسحاس.

أما شياطين الإنس فالشياطين التى تضل الإنس وشياطين الجن التى تضل الجن يلتقيان فيقول كل واحد منهما لصاحبه إنى أضللت صاحبى بكذا وكذ فأضل أنت صاحبك بكذا وكذا فيعلم بعضهم بعضا ، ففهم ابن جرير من هذا أن المراد بشياطين الإنس عند عكرمة والسدى الشياطين من الجن الذين يضلون الناس لا أن المراد منه شياطين الإنس منهم ولا شك أن هذا ظاهر من كلام عكرمة وأما كلام السدى فليس مثله فى هذا المعنى وهو محتمل وقد روى ابن أبى حاتم نحو هذا عن ابن عباس من رواية الضحاك عنه قال إن للجن شياطين يضلونهم مثل شياطين الإنس يضلونهم قال فيلتقى شياطين الإنس وشياطين الجن فيقول هذا لهذا أضللته بكذا فهو قوله (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وعلى كل حال فالصحيح ماتقدم من حديث أبى ذر إن للانس شياطين منهم وشيطان كل شىء مارده ولهذا جاء فى صحيح مسلم عن أبى ذر أن رسول الله ﷺ قال « الكلب الأسود شيطان » ومعناه والله أعلم شيطان فى الكلاب وقال ابن جريج قال مجاهد فى تفسير هذه الآية كفار الجن شياطين يوحون إلى شياطين الإنس كفار الإنس زخرف القول غرورا ، وروى ابن أبى حاتم عن عكرمة قال قدمت على المختار فأكرمنى وأنزلنى حتى كاد يتعاهد مبيتى بالليل ، قال: فقال لى أخرج إلى الناس فحدثهم قال فخرجت فجاء رجل فقال : ما تقول فى الوحى، فقلت الوحى وحيان قال الله تعالى (بما أوحينا إليك هذا القرآن) وقال تعالى (شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) قال فهموا بى أن يأخذونى فقلت لهم : مالكم ذاك إنى مفتيكم وضيفكم فتركونى ، وإنما عرض عكرمة بالمختار وهو ابن أبى عبيد قبحه الله ، وكان يزعم أنه يأتيه الوحى ، وقد كانت أخته صفية تحت عبدالله ابن عمر وكانت من الصالحات ، ولما أخبر عبدالله بن عمر أن المختار يزعم أنه يوحى اليه فقال صدق قال الله تعالى (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) وقوله تعالى (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً) أى يلقى بعضهم إلى بعض القول المزين المزخرف وهو المزوق الذى يغتر سامعه من الجهلة بأمره (ولو شاء ربك مافعلوه) أى وذلك كله بقدر الله وقضائه وإرادته ومشيئته أن يكون لكل نبى عدو من هؤلاء (فذرهم) أى فدعهم (وما يفترون) أى يكذبون . أى دع أذاهم وتوكل على الله فى عداوتهم فإن الله كافيك وناصرك عليهم ،وقوله تعالى(ولتصغى إليه)أى ولتميل اليه . قاله ابن عباس (أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة) أى قلوبهم وعقولهم وأسماعهم : وقال السدى : قلوب الكافرين (وليرضوه) أى يحبوه ويريدوه ، وإنما يستجيب لذلك من لايؤمن بالآخرة كما قال تعالى (فإنكم وماتعبدون* ما أنتم عليه بفاتنين * إلا من هو صال الجحيم) وقال تعالى (إنكم لفى قول مختلف يؤفك عنه من أفك) وقوله (وليقترفوا ماهم مقترفون) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس وليكتسبوا ماهم مكتسبون وقال السدى وابن زيد وليعملوا ماهم عاملون

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ * وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ قل لهؤلاء المشركين بالله الذين يعبدون غيره (أفغير الله أبتغى حكما) أى بينى وبينكم (وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا) أى مبينا (والذين آتيناهم الكتاب) أى من اليهود والنصارى يعلمون أنه منزل من ربك بالحق أى بما عندهم من البشارات بك من الأنبياء المتقدمين (فلا تكونن من الممترين) كقوله (فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) وهذا شرط والشرط لايقتضى وقوعه ولهذا جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا أشك ولا أسأل » وقوله تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) قال قتادة صدقا فيما قال وعدلا فيما حكم يقول صدقا فى الأخبار

وعدلا فى الطلب فكل ما أخبر به فحق لامرية فيه ولا شك وكل ما أمر به فهو العدل الذى لاعدل سواه وكل مانهى عنه فباطل فإنه لاينهى إلا عن مفسدة كما قال تعالى (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) إلى آخر الآية (لامبدل لكلماته) أى ليس أحد يعقب حكمه تعالى لافى الدنيا ولا فى الآخرة (وهو السميع) لأقوال عباده (العليم) بحركاتهم وسكناتهم الذى يجازى كل عامل بعمله

﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ* إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

يخبر تعالى عن حال أكثر أهل الأرض من بنى آدم أنه الضلال كما قال تعالى (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين) وقال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وهم فى ضلالهم ليسوا على يقين من أمرهم وإنما هم فى ظنون كاذبة وحسبان باطل (إن يتبعون إلاالظن وإنهم إلايخرصون) فإن الخرص هو الحزر ومنه خرص النخل وهوحزر ماعليها من التمر وذلك كله عن قدر الله ومشيئته (هو أعلم من يضل عن سبيله) فييسره لذلك (وهو أعلم بالمهتدين) فييسرهم لذلك وكل ميسر لما خلق له

﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِ مُؤْمِنِينَ *وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾

هذا إباحة من الله لعباده المؤمنين أن يأكلوا من الذبائح ما ذكرعليه اسمه ومفهومه أنه لايباح مالم يذكر اسم الله عليه كما كان يستبيحه كفار قريش من أكل الميتات وأكل ماذبح على النصب وغيرها ثم ندب إلى الأكل مماذكراسم الله عليه فقال (وما لكم أن لاتأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ماحرم عليكم) أى قدبين لكم ماحرم عليكم ووضحه وقرأ بعضهم فصل بالتشديد وقرأ آخرون بالتخفيف والكل بمعنى البيان والوضوح (إلاما اضطررتم إليه) أى إلا فى حال الاضطرار فإنه يباح لكم ما وجدتم ثم بين تعالى جهالة المشركين فى آرائهم الفاسدة من استحلالهم الميتات وما ذكر عليه غير اسم الله تعالى فقال (وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هوأعلم بالمعتدين) أى هو أعلم باعتدائهم وكذبهم وافترائهم

﴿ وَذَرُوا ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾

قال مجاهد (وذروا ظاهر الإثم وباطنه) المعصية فى السر والعلانية وفى رواية عنه هو ماينوى مما هو عامل وقال قتادة (وذروا ظاهر الإثم وباطنه) أى سره وعلانيته قليله وكثيره ، وقال السدى : ظاهره الزنا مع البغايا ذوات الرايات وباطنه الزنا مع الخليلة والصدائق والأخدان وقال عكرمة ظاهره نكاح ذوات المحارم والصحيح أن الآية عامة فى ذلك كله وهى كقوله تعالى (قل إنماحرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن) الآية ولهذا قال تعالى (إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون) أى سواء كان ظاهرا أوخفيا فإن الله سيجزيهم عليه قال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن ابن عرفة حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله ﷺ عن الإثم فقال « الإثم ماحاك فى صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه »

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ

وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾

استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب إلى أن الذبيحة لاتحل إذا لم يذكر اسم الله عليها وان كان الذابح مسلما ، وقد اختلف الأئمة رحمهم الله فى هذه المسألة على ثلاثة أقوال ، فمنهم من قال لاتحل هذه الذبيحة بهذه الصفة وسواء متروك التسمية عمداً أو سهواً وهو مروى عن ابن عمر ونافع مولاه وعامر الشعبي ومحمد بن سيرين وهو رواية عن الإمام مالك ورواية عن أحمد بن حنبل نصرها طائفة من أصحابه المتقدمين والمتأخرين وهو اختيار أبى ثور وداود الظاهرى واختار ذلك أبو الفتوح محمد بن محمد بن على الطائى من متأخرى الشافعية فى كتابه الأربعين واحتجوا لمذهبهم هذا بهذه الآية وبقوله فى آية الصيد (فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه) ثم قد أكد فى هذه الآية بقوله (وإنه لفسق) والضمير قيل عائد على الأكل وقيل عائد على الذبح لغير الله وبالأحاديث الواردة فى الأمر بالتسمية عند الذبيحة والصيد كحديثى عدى بن حاتم وأبى ثعلبة « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك » وهما فى الصحيحين ، وحديث رافع بن خديج « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه » وهو فى الصحيحين أيضاً وحديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال للجن « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه » رواه مسلم ، وحديث جندب بن سفيان البجلى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ذبح قبل أن يصلى فليذبح مكانها أخرى ومن لم يكن ذبح حتى صلينا فليذبح باسم الله » أخرجاه وعن عائشة رضى الله عنها أن ناسا قالوا يارسول الله إن قوما يأتوننا باللحم لاندرى أذكر اسم الله عليه أم لا ؟ قال « سموا عليه أنتم وكلوا » قالت وكانوا حديثى عهد بالكفر رواه البخارى ، ووجه الدلالة أنهم فهموا أن التسمية لابد منها وخشوا أن لاتكون وجدت من أولئك لحداثة إسلامهم فأمرهم بالاحتياط بالتسمية عند الأكل لتكون كالعوض عن المتروكة عند الذبح إن لم تكن وجدت وأمرهم باجراء أحكام المسلمين على السداد والله أعلم والمذهب الثانى فى المسئلة أنه لايشترط التسمية بل هى مستحبة فإن تركت عمدا أو نسياناً لايضر وهذا مذهب الإمام الشافعى رحمه الله وجميع أصحابه ورواية عن الإمام أحمد نقلها عنه حنبل وهو رواية عن الإمام مالك ونص على ذلك أشهب بن عبد العزيز من أصحابه وحكى عن ابن عباس وأبى هريرة وعطاء بن أبى رباح والله أعلم . وحمل الشافعى الآية الكريمة (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق) على ماذبح لغير الله كقوله تعالى (أوفسقا أهل لغير الله به) وقال ابن جريج عن عطاء (ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) قال ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش للأوثان وينهى عن ذبائح المجوس وهذا المسلك الذى طرقه الإمام الشافعى قوى وقد حاول بعض المتأخرين أن يقويه بأن جعل الواو فى قوله (وإنه لفسق) حالية أى : لاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه فى حال كونه فسقا ولا يكون فسقا حتى يكون قد أهل به لغير الله . ثم ادعى أن هذا متعين ولا يجوز أن تكون الواو عاطفة لأنه يلزم منه عطف جملة اسمية خبرية على جملة فعلية طلبية وهذا ينتقض عليه بقوله (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) فإنها عاطفة لامحالة فإن كانت الواو التى ادعى أنها حالية صحيحة على ماقال امتنع عطف هذه عليها فان عطفت على الطلبية ورد عليه ما أورد على غيره وإن لم تكن الواو حالية بطل ما قال من أصله والله أعلم ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا يحيى بن المغيرة أنبأنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى الآية (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) قال هى الميتة . ثم رواه عن أبى زرعة عن يحيى بن أبى كثير عن ابن لهيعة عن عطاء وهو ابن السائب به ، وقد استدل لهذا المذهب بما رواه أبو داود فى المراسيل من حديث ثور بن يزيد عن الصلت السدوسى مولى سويد بن ميمون أحد التابعين الذين ذكرهم أبو حاتم بن حبان فى كتاب الثقات قال : قال رسول الله ﷺ « ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر إنه إن ذكر لم يذكر إلا اسم الله » وهذا مرسل يعضد بما رواه الدارقطنى عن ابن عباس أنه قال « إذا ذبح المسلم ولم يذكر اسم الله فليأكل فإن المسلم فيه اسم من أسماء الله » واحتج البيهقى أيضاً بحديث عائشة رضى الله عنها المتقدم أن ناسا قالوا يارسول الله إن قوما حديثى عهد بجاهلية يأتوننا بلحم لاندرى أذكروا اسم الله عليه أم لا ؟ فقال « سموا أنتم وكلوا » قال: فلو كان وجود التسمية شرطا لم يرخص لهم إلا مع تحققها والله أعلم

المذهب الثالث فى المسئلة إن ترك البسملة على الذبيحة نسيانا لم يضر وإن تركها عمداً لم تحل هذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك وأحمد بن حنبل وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه وإسحق بن راهويه وهو محكى عن على وابن عباس وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس والحسن البصرى وأبى مالك وعبد الرحمن بن أبى ليلى وجعفر بن محمد وربيعة بن أبى عبد الرحمن ونقل الإمام أبو الحسن المرغينانى فى كتابه الهداية الاجماع قبل الشافعى على تحريم متروك التسمية عمدا فلهذا قال أبو يوسف والمشايخ لو حكم حاكم بجواز بيعه لم ينفذ لمخالفة الاجماع ، وهذا الذى قاله غريب جدا وقد تقدم نقل الخلاف عمن قبل الشافعى والله أعلم . وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله من حرم ذبيحة الناسى فقد خرج من قول جميع الحجة وخالف الخبر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك يعنى ما رواه الحافظ أبو بكر البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا أبو أمية الطرسوسى حدثنا محمد بن يزيد حدثنا معقل بن عبيد الله عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « المسلم يكفيه اسمه إن نسى أن يسمى حين يذبح فليذكر اسم الله وليأكله » وهذا الحديث رفعه خطأ ، أخطأ فيه معقل بن عبيد الله الجزرى فانه وإن كان من رجال مسلم إلا أن سعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدى روياه عن سفيان بن عيينة عن عمرو عن أبى الشعثاء عن عكرمة عن ابن عباس من قوله فزادا فى إسناده أبا الشعثاء ووثقاه وهذا أصح ، نص عليه البيهقى وغيره من الحفاظ ثم نقل ابن جرير وغيره عن الشعبى ومحمد بن سيرين أنهما كرها متروك التسمية نسيانا والسلف يطلقون الكراهة على التحريم كثيرا والله أعلم إلا أن من قاعدة ابن جرير انه لا يعتبر قول الواحد ولا الاثنين مخالفاً لقول الجمهور فيعده إجماعا فليعلم هذا والله الموفق قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو أسامة عن جهير بن يزيد قال سئل الحسن سأله رجل أتيت بطير كذا فمنه ماقد ذبح فذكر اسم الله عليه ومنه ما نسى أن يذكر اسم الله عليه واختلط الطير فقال الحسن كله كله ، قال وسألت محمد بن سيرين فقال: قال الله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) واحتج لهذا المذهب بالحديث المروى من طرق عند ابن ماجه عن ابن عباس وأبى هريرة وأبى ذر وعقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » وفيه نظر والله أعلم ، وقد روى الحافظ أبو أحمد بن عدى من حديث مروان بن سالم القرقسانى عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى ، فقال النبى ﷺ « اسم الله على كل مسلم » ولكن هذا إسناده ضعيف فإن مروان بن سالم القرقسانى أبا عبد الله الشامى ضعيف تكلم فيه غير واحد من الأئمة والله أعلم ، وقد أفردت هذه المسئلة على حدة وذكرت مذاهب الأئمة ومأخذهم وأدلتهم ووجه الدلالات والمناقضات والمعارضات والله أعلم

قال ابن جرير وقد اختلف أهل العلم فى هذه الآية هل نسخ من حكمها شىء أم لا ؟ فقال بعضهم لم ينسخ منها شىء وهى محكمة فيما عنيت به ، وعلى هذا قول مجاهد وعامة أهل العلم وروى عن الحسن البصرى وعكرمة ما حدثنا به ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن عكرمة والحسن البصرى قالا : قال الله (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين) وقال (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق) فنسخ واستثنى من ذلك فقال (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم) وقال ابن أبى حاتم قرأ على العباس بن الوليد بن يزيد حدثنا محمد بن شعيب أخبرنى النعمان يعنى ابن المنذر عن مكحول قال أنزل الله فى القرآن (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ثم نسخها الرب ورحم المسلمين فقال (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) فنسخها بذلك وأحل طعام أهل الكتاب . ثم قال ابن جرير والصواب أنه لا تعارض بين حل طعام أهل الكتاب وبين تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه ، وهذا الذى قاله صحيح ومن أطلق من السلف النسخ هاهنا فإنما أراد التخصيص والله سبحانه وتعالى أعلم ، وقوله تعالى (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو بكر ابن عياش عن أبى إسحق قال : قال رجل لابن عمر إن المختار يزعم أنه يوحى اليه قال صدق وتلا هذه الآية (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) وحدثنا أبى حدثنا أبو حذيفة حدثنا عكرمة بن عمار عن أبى زميل قال كنت قاعدا

عند ابن عباس وحج المختار بن أبي عبيد فجاءه رجل فقال يا ابن عباس زعم أبو إسحق أنه أوحى إليه الليلة فقال ابن عباس صدق ، فنفرت وقلت يقول ابن عباس صدق فقال ابن عباس هما وحيان وحى الله ووحى الشيطان فوحى الله إلى محمد ﷺ ووحى الشيطان إلى أوليائه ثم قرأ (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) وقد تقدم عن عكرمة فى قوله (يوحى بعض إلى بعض زخرف القول غرورا) نحو هذا وقوله (ليجادلوكم) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال خاصمت اليهود النبي ﷺ فقالوا نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله ؟ فأنزل الله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق) هكذا رواه مرسلا ورواه أبو داود متصلا فقال حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جاءت اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله ؟ فأنزل الله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) الآية وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن عبد الأعلى وسفيان بن وكيع كلاهما عن عمران بن عيينة به . ورواه البزار عن محمد بن موسى الجرسى عن عمران بن عيينة به وهذا فيه نظر من وجوه ثلاثة (أحدها) أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا (الثانى) أن الآية من الأنعام وهى مكية (الثالث) أن هذا الحديث رواه الترمذى عن محمد بن موسى الجرسى عن زياد بن عبد الله البكائى عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ورواه الترمذى بلفظ أتى ناس النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقال حسن غريب وروى عن سعيد بن جبير مرسلا وقال الطبرانى حدثنا على بن المبارك حدثنا زيد بن المبارك حدثنا موسى بن عبد العزيز حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمداً وقولوا له فما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال وما ذبح الله عز وجل بشمشير من ذهب يعنى الميتة فهو حرام فنزلت هذه الآية (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) أى وإن الشياطين من فارس ليوحون إلى أوليائهم من قريش ، وقال أبو داود حدثنا محمد بن كثير أخبرنا إسرائيل حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) يقولون ما ذبح الله فلا تأكلوه وما ذبحتم أنتم فكلوه فأنزل الله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم عليه) ورواه ابن ماجه وابن أبي حاتم عن عمرو ابن عبد الله عن وكيع عن إسرائيل به وهذا إسناد صحيح ورواه ابن جرير من طرق متعددة عن ابن عباس وليس فيه ذكر اليهود ، فهذا هو المحفوظ لأن الآية مكية واليهود لا يحبون الميتة وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) إلى قوله (ليجادلوكم) قال يوحى الشياطين إلى أوليائهم تأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله ؟ وفى بعض ألفاظه عن ابن عباس أن الذى قتلتم ذكر اسم الله عليه وأن الذى قد مات لم يذكر اسم الله عليه ، وقال ابن جريج قال عمرو بن دينار عن عكرمة إن مشركى قريش كاتبوا فارس على الروم وكاتبتهم فارس فكتبت فارس إليهم ان محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله فما ذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكلونه وما ذبحوه هم يأكلونه فكتب بذلك المشركون إلى أصحاب رسول الله ﷺ فوقع فى أنفس ناس من المسلمين من ذلك شىء فأنزل الله (وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) ونزلت (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وقال السدى فى تفسير هذه الآية إن المشركين قالوا للمسلمين كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله فما قتل الله فلا تأكلونه وما ذبحتم أنتم تأكلونه ؟ فقال الله تعالى (وإن أطعتموهم) فى أكل الميتة (إنكم لمشركون) وهكذا قاله مجاهد والضحاك وغير واحد من علماء السلف

وقوله تعالى (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) أى حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك كقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية وقد روى الترمذى فى تفسيرها عن عدى بن حاتم أنه قال يا رسول الله ما عبدوهم فقال « بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم »

﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذى كان ميتا أى فى الضلالة هالكا حائرا فأحياه الله أى أحيا قلبه بالايمان وهداه له ووفقه لاتباع رسله (وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس) أى يهتدى كيف يسلك وكيف يتصرف به والنور هو القرآن كما رواه العوفى وابن أبى طلحة عن ابن عباس وقال السدى الاسلام والكل صحيح (كمن مثله فى الظلمات) أى الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة (ليس بخارج منها) أى لا يهتدى إلى منفذ ولا مخلص مما هو فيه ، وفى مسند الامام أحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الله خلق خلقه فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل » كما قال تعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقال تعالى (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم) وقال تعالى (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون) وقال تعالى (وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور * إن أنت إلا نذير) والآيات فى هذا كثيرة ووجه المناسبة فى ضرب المثلين ههنا بالنور والظلمات ما تقدم فى أول السورة (وجعل الظلمات والنور) وزعم بعضهم أن المراد بهذا المثل رجلان معينان فقيل عمر بن الخطاب هو الذى كان ميتاً فأحياه الله وجعل له نورا يمشى به فى الناس وقيل عمار بن ياسر وأما الذى فى الظلمات ليس بخارج منها أبو جهل عمرو بن هشام لعنه الله . والصحيح أن الآية عامة يدخل فيها كل مؤمن وكافر

وقوله تعالى (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) أى حسنا لهم ما كانوا فيه من الجهالة والضلالة قدرا من الله وحكمة بالغة لا إله إلا هو وحده لا شريك له

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى وكما جعلنا فى قريتك يا محمد أكابر من المجرمين ورؤساء ودعاة إلى الكفر والصد عن سبيل الله وإلى مخالفتك وعداوتك كذلك كانت الرسل من قبلك يبتلون بذلك ثم تكون لهم العاقبة كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين) الآية وقال تعالى (وإذ أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) الآية قيل معناه أمرناهم بالطاعة فخالفوا فدمرناهم وقيل أمرناهم أمرا قدريا كما قال ههنا (ليمكروا فيها) وقوله تعالى (أكابر مجرميها ليمكروا فيها) قال ابن أبى طلحة عن ابن عباس (أكابر مجرميها ليمكروا فيها) قال سلطنا شرارهم فعصوا فيها فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب . وقال مجاهد وقتادة (أكابر مجرميها) عظماؤها قلت وهكذا قوله تعالى (وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون * وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) وقوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) والمراد بالمكر ههنا دعاؤهم إلى الضلالة بزخرف من المقال والفعال كقوله تعالى إخبارا عن قوم نوح (ومكروا مكرا كبارا) وقوله تعالى (ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين

استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان قال كل مكر في القرآن فهو عمل وقوله تعالى (وما يمكرون إلا بأنفسهم ومايشعرون) أي ومايعود وبال مكرهم ذلك وإضلالهم من أضلوه إلا على أنفسهم كما قال تعالى (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) وقال (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء مايزرون) . وقوله تعالى (وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) أي إذا جاءتهم آية وبرهان وحجة قاطعة قالوا (لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) أي حتى تأتينا الملائكة من الله بالرسالة كما تأتي إلى الرسل كقوله جل وعلا (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) الآية ، وقوله (الله أعلم حيث يجعل رسالته) أي هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه كقوله تعالى (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم * أهم يقسمون رحمة ربك) الآية ، يعنون لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير جليل مبجل في أعينهم (من القريتين) أي من مكة والطائف وذلك أنهم قبحهم الله كانوا يزدرون بالرسول صلوات الله وسلامه عليه بغيا وحسدا ، وعنادا واستكباراً كقوله تعالى مخبرا عنه (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا ، أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون) وقال تعالى(وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا) وقال تعالى (ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) هذا وهم معترفون بفضله وشرفه ونسبه ، وطهارة بيته ومرباه ، ومنشئه صلى الله وملائكته والمؤمنون عليه ، حتى انهم كانوا يسمونه بينهم قبل أن يوحى اليه « الأمين » وقد اعترف بذلك رئيس الكفار أبو سفيان حين سأله هرقل ملك الروم وكيف نسبه فيكم ؟ قال هو فينا ذو نسب ، قال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال ؟ قال لا ـ الحديث بطوله الذي استدل ملك الروم بطهارة صفاته عليه السلام على صدق نبوته وصحة ماجاء به وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الأوزاعي عن شداد أبي عمار عن واثلة ابن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » انفرد باخراجه مسلم من حديث الأوزاعي وهو عبد الرحمن بن عمرو إمام أهل الشام به نحوه وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن المطلب بن أبي وداعة قال : قال العباس بلغه ﷺ بعض ما يقول الناس فصعد المنبر فقال « من أنا ؟ » قالوا أنت رسول الله ، فقال « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فريقين فجعلني في خير فرقة وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا خيركم بيتا وخيركم نفساً » صدق صلوات الله وسلامه عليه . وفي الحديث أيضا المروي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « قال لي جبريل قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد ، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم » رواه الحاكم والبيهقي . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو بكر حدثنا عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال : إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيء . وقال أحمد حدثنا شجاع بن الوليد قال ذكر قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن سلمان قال : قال لي رسول الله ﷺ « ياسلمان لا تبغضني فتفارق دينك » قلت يارسول الله كيف أبغضك وبك هدانا الله ؟ قال « تبغض العرب فتبغضني » وذكر ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية ذكر عن محمد بن منصور الجواز حدثنا سفيان عن أبي

حسين قال أبصر رجل ابن عباس وهو داخل من باب المسجد فلما نظر اليه راعه فقال من هـذا قالوا ابن عباس ابن عم رسول الله ﷺ فقال (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ، وقوله تعالى (سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شـديد) الآية هذا وعيد شـديد من الله وتهديد أكيد لمن تـكبر عن اتباع رسـله والانقياد لهم فيما جاءوابه فإنه سيصيبه يوم القيامة بين يدى الله صـغار وهو الذلة الدائمة كما أنهم استكبروا فأعقبهم ذلك ذلا يوم القيامة لما استـكبروا فى الدنيا كقوله تعالى (إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) أى صاغرين ذليلين حقيرين وقوله تعالى (وعذاب شـديد بمـا كانوا يمكرون) لما كان المـكر غالبا إنما يكون خفيا وهو التلطف فى التحيل والخديعة قوبلوا بالعذاب الشديد من الله يوم القيامة جزاء وفاقا (ولا يظلم ربك أحدا) كما قال تعالى (يوم تبلى السرائر) أى تظهر المستترات والمـكنونات والضمائر وجاء فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم أنه قال « ينصب لـكل غادر لواء عند استه يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلان بن فلان » والحـكمة فى هذا أنه لما كان الغدر خفيا لايطلع عليه الناس فيوم القيامة يصير علما منشورا على صاحبه بما فعل

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) أى ييسره له وينشطه ويسهله لذلك فهذه علامات على الخير كقوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) الآية وقال تعالى (ولـكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الـكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون) وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) يقول تعالى يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به وكذا قال أبو مالك وغير واحد وهو ظاهر . وقال عبد الرزاق أخبرنا الثورى عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن أبى جعفر قال سئل رسول الله ﷺ أى المؤمنين أكيس ؟ قال « أكثرهم ذكرا للموت وأكثرهم لما بعـده استعدادا » قال وسئل النبى صلى الله عليه وسـلم عن هذه الآية (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) قالوا كيف يشرح صدره يارسول الله ؟ قال « نور يقذف فيـه فينشرح له وينفسح » قالوا فهل لذلك من أمارة يعرف بها ؟ قال « الإنابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت » وقال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا قبيصة عن سفيان يعنى الثورى عن عمرو بن مرة عن رجل يكنى أبا جعفر كان يسكن المدائن قال سئل النبى صـلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) فذكر نحو ماتقدم . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن إدريس عن الحسن بن الفرات القزاز عن عمرو بن مرة عن أبى جعفر قال : قال رسول الله ﷺ (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) قال رسول الله ﷺ « إذا دخل الإيمان القلب انفسح له القلب وانشرح » قالوا يارسول الله هـل لذلك من أمارة ؟ قال « نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاسـتعداد للموت قبل الموت » وقـد رواه ابن جرير عن سوار بن عبد الله العنبرى حـدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبى يحدث عن عبد الله بن مرة عن أبى جعفر فذكره . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) قالوا يارسول الله ما هذا الشرح ؟ قال « نور يقذف به فى القلب » قالوا يارسول الله فهل لذلك من أمارة تعرف ؟ قال « نعم » قالوا وما هى قال « الإنابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت »

وقال ابن جرير أيضا حدثنى هلال بن العلاء حدثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد حدثنا محمد بن مسلم عن أبى عبد الرحمن

عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح » قالوا فهل لذلك من علامة يعرف بها ؟ قال « الانابة إلى دار الخلود والتنحى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت » وقد رواه من وجه آخر عن ابن مسعود متصلا مرفوعا فقال حدثنى ابن سنان القزاز حدثنا محبوب بن الحسن الهاشمى عن يونس عن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) قالوا يا رسول الله وكيف يشرح صدره ؟ قال « يدخل فيه النور فينفسح » قالوا وهل لذلك علامة يارسول الله ؟ قال « التجافى عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل أن ينزل الموت » فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضا والله أعلم

وقوله تعالى (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) قرىء بفتح الضاد وتسكين الياء والاكثرون ضيقا بتشديد الياء وكسرها وهما لغتان كهين وهين وقرأ بعضهم حرجا بفتح الحاء وكسر الراء قيل بمعنى آثم قاله السدى وقيل بمعنى القراءة الأخرى حرجا بفتح الحاء والراء وهو الذى لا يتسع لشىء من الهدى ولا يخلص إليه شىء ما ينفعه من الإيمان ولا ينفذ فيه . وقد سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا من الأعراب من أهل البادية من مدلج عن الحرجة فقال هى الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شىء فقال عمر رضى الله عنه كذلك قلب المنافقين لا يصل إليه شىء من الخير . وقال العوفى عن ابن عباس يجعل الله عليه الإسلام ضيقا والإسلام واسع وذلك حين يقول (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) يقول ما جعل عليكم فى الإسلام من ضيق وقال مجاهد والسدى ضيقا حرجا شاكا وقال عطاء الخراسانى ضيقا حرجا أى ليس للخير فيه منفذ وقال ابن المبارك عن ابن جريج ضيقا حرجا بلا إله إلا الله حتى لا يستطيع أن تدخل قلبه كأنما يصعد فى السماء من شدة ذلك عليه . وقال سعيد بن جبير يجعل صدره ضيقا حرجا قال لا يجد فيه مسلكا إلا صعدا وقال السدى (كأنما يصعد فى السماء) من ضيق صدره

وقال عطاء الخراسانى (كأنما يصعد فى السماء) يقول مثله كمثل الذى لا يستطيع أن يصعد إلى السماء وقال الحكم ابن أبان عن عكرمة عن ابن عباس (كأنما يصعد فى السماء) يقول فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء فكذلك لا يستطيع أن يدخل التوحيد والايمان قلبه حتى يدخله الله فى قلبه وقال الأوزاعى (كأنما يصعد فى السماء) كيف يستطيع من جعل الله صدره ضيقا أن يكون مسلما . وقال الامام أبو جعفر بن جرير وهذا مثل ضربه الله لقلب هذا الكافر فى شدة ضيقه عن وصول الإيمان إليه يقول فمثله فى امتناعه عن قبول الإيمان وضيقه عن وصوله إليه مثل امتناعه عن الصعود إلى السماء وعجزه عنه لأنه ليس فى وسعه وطاقته ، وقال فى قوله (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) يقول كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيقا حرجا كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبى الايمان بالله ورسوله فيغويه ويصده عن سبيل الله وقال ابن أبى طلحة عن ابن عباس : الرجس الشيطان وقال مجاهد : الرجس كل ما لا خير فيه وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الرجس العذاب

﴿ وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

لما ذكر تعالى طريق الضالين عن سبيله الصادين عنها نبه على شرف ما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق فقال تعالى (وهذا صراط ربك مستقيما) منصوب على الحال أى هذا الدين الذى شرعناه لك يا محمد بما أوحينا إليك هذا القرآن هو صراط الله المستقيم كما تقدم فى حديث الحارث عن على فى نعت القرآن : هو صراط الله المستقيم وحبل الله المتين وهو الذكر الحكيم رواه أحمد والترمذى بطوله (قد فصلنا الآيات) أى وضحناها وبيناها وفسرناها (لقوم يذكرون) أى لمن له فهم ووعى يعقل عن الله ورسوله (لهم دار السلام) وهى الجنة (عند ربهم) أى يوم القيامة وإنما وصف الله الجنة ههنا بدار السلام لسلامتهم فيما سلكوه من الصراط المستقيم المقتفى أثر الأنبياء وطرائقهم فكما

سلموا من آفات الاعوجاج أفضوا إلى دار السلام (وهو وليهم) أى[1] حافظهم وناصرهم ومؤيدهم (بما كانوا يعملون) أى جزاء على أعمالهم الصالحة تولاهم وأثابهم الجنة بمنه وكرمه

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى (و)اذكر يا محمد فيما تقصه عليهم وتنذرهم به (يوم يحشرهم جميعا) يعنى الجن وأولياءهم من الانس الذين كانوا يعبدونهم فى الدنيا ويعوذون بهم ويطيعونهم ويوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا (يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس) أى يقول يا معشر الجن وسياق الكلام يدل على المحذوف ومعنى قوله (قد استكثرتم من الانس) أى من إغوائهم وإضلالهم كقوله تعالى (ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبد الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم * ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس) يعنى أضللتم منهم كثيرا وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة (وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض) يعنى أن أولياء الجن من الانس قالوا مجيبين لله تعالى عن ذلك بهذا . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الأشهب هوذة بن خليفة حدثنا عوف عن الحسن فى هذه الآية قال استكثرتم من أهل النار يوم القيامة فقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض ، قال الحسن وما كان استمتاع بعضهم ببعض إلا أن الجن أمرت وعملت الانس . وقال محمد بن كعب فى قوله (ربنا استمتع بعضنا ببعض) قال الصحابة فى الدنيا . وقال ابن جريج كان الرجل فى الجاهلية ينزل الأرض فيقول أعوذ بكبير هذا الوادى . فذلك استمتاعهم فاعتذروا به يوم القيامة وأما استمتاع الجن بالانس فانه كان فيما ذكر ما ينال الجن من الانس من تعظيمهم إياهم فى استعاذتهم بهم فيقولون قد سدنا الانس والجن (وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) قال السدى يعنى الموت (قال النار مثواكم) أى مأواكم ومنزلكم أنتم وإياهم وأولياؤكم (خالدين فيها) أى ماكثين فيها مكثا مخلدا إلا ماشاء الله قال بعضهم يرجع معنى الاستثناء إلى البرزخ وقال بعضهم هذا رد إلى مدة الدنيا وقيل غير ذلك من الأقوال التى سيأتى تقريرها عند قوله تعالى فى سورة هود (خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) وقد روى ابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيره هذه الآية من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى حاتم بن أبى طلحة عن ابن عباس قال (النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) قال إن هذه الآية آية لا ينبغى لأحد أن يحكم على الله فى خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً

﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

قال سعيد عن قتادة فى تفسيرها إنما يولى الله الناس بأعمالهم فالمؤمن ولى المؤمن أين كان وحيث كان والكافر ولى الكافر أينما كان وحيثما كان ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى واختاره ابن جرير ، وقال معمر عن قتادة فى تفسير الآية نولى الله بعض الظالمين بعضا فى النار يتبع بعضهم بعضا . وقال مالك بن دينار قرأت فى الزبور إنى أنتقم من المنافقين بالمنافقين ثم انتقم من المنافقين جميعا وذلك فى كتاب الله قوله الله تعالى (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا) وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا) قال ظالمى الجن وظالمى الانس وقرأ (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) قال ونسلط ظلمة الجن على ظلمة الانس وقد روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة عبد الباقى بن أحمد من طريق سعيد بن عبد الجبار الكرابيسى عن حماد بن سلمة عن عاصم عن ذر عن ابن مسعود مرفوعا « من أعان ظالما سلطه الله عليه » وهذا حديث غريب وقال بعض الشعراء :

وما من يد إلا يد الله فوقها * ولا ظالم إلا سيبلى بأظلم

(١) فى النسختين الأميرية والأزهرية أى والسلام وهو الله وليهم أى حافظهم الخ .

ومعنى الآية الكريمة كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة التى أغوتهم من الجن كذلك نفعل بالظالمين نسلط بعضهم على بعض ونهلك بعضهم ببعض وننتقم من بعضهم ببعض جزاء على ظلمهم وبغيهم

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰفِرِينَ ﴾

وهذا أيضا مما يقرع الله به كافرى الجن والإنس يوم القيامة حيث يسألهم وهو أعلم هل بلغتهم الرسل رسالاته وهذا استفهام تقرير (يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم) أى من جملتكم والرسل من الإنس فقط وليس من الجن رسل كما قد نص على ذلك مجاهد وابن جريج وغير واحد من الأئمة من السلف والخلف ، وقال ابن عباس الرسل من بنى آدم ومن الجن نزر . وحكى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم أنه زعم أن فى الجن رسلا واحتج بهذه الآية الكريمة وفيه نظر لأنها محتملة وليست بصريحة وهى والله أعلم كقوله (مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان * فبأى آلاء ربكما تكذبان) إلى أن قال (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) ومعلوم أن اللؤلؤ والمرجان إنما يستخرجان من الملح لا من الحلو[1] وهذا واضح ولله الحمد وقد ذكر هذا الجواب بعينه ابن جرير ، والدليل على أن الرسل إنما هم من الإنس قوله تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده — إلى قوله — رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقوله تعالى عن إبراهيم (وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب) فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم فى ذريته ولم يقل أحد من الناس إن النبوة كانت فى الجن قبل إبراهيم الخليل ثم انقطعت عنهم ببعثته وقال تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق) وقال (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى) ومعلوم أن الجن تبع للانس فى هذا الباب ولهذا قال تعالى إخبارا عنهم (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم * ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم * ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء ، أولئك فى ضلال مبين) وقد جاء فى الحديث الذى رواه الترمذى وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا عليهم سورة الرحمن وفيها قوله تعالى (سنفرغ لكم أيها الثقلان * فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقال تعالى فى هذه الآية الكريمة (يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا) أى أقررنا أن الرسل قد بلغونا رسالاتك وأنذرونا لقاءك وأن هذا اليوم كائن لا محالة وقال تعالى (وغرتهم الحياة الدنيا) أى وقد فرطوا فى حياتهم الدنيا وهلكوا بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم للمعجزات لما اغتروا به من زخرف الحياة الدنيا وزينتها وشهواتها (وشهدوا على أنفسهم) أى يوم القيامة (أنهم كانوا كافرين) أى فى الدنيا بما جاءتهم به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم

﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ * وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) أى إنما أعذرنا إلى الثقلين بإرسال الرسل وإنزال الكتب لئلا يؤاخذ أحد بظلمه وهو لم تبلغه دعوة ولكن أعذرنا إلى الأمم وما عذبنا أحدا إلا بعد إرسال الرسل إليهم كما قال تعالى (وإن من قرية إلا خلا فيها نذير) وقال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) كقوله (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم

(١) هكذا كان المتقدمون يقولون ، ثم ثبت أن بعض الأنهار الحلوة الماء قد استخرج منها اللؤلؤ .

يأتكم نذير ؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا) والآيات فى هذا كثيرة قال الإمام أبوجعفر بن جرير ويحتمل قوله تعالى (بظلم) وجهين (أحدهما) ذلك من أجل أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أهلها بالشرك ونحوه وهم غافلون يقول لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسولا ينبههم على حجج الله عليهم وينذرهم عذاب الله يوم معادهم ولم يكن بالذى يؤاخذهم غفلة فيقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير (والوجه الثانى) (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) يقول لم يكن ربك ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر فيظلمهم بذلك والله غير ظلام لعبيده ثم شرع يرجح الوجه الأول ولاشك أنه أقوى والله أعلم .

قال وقوله تعالى (ولكل درجات مما عملوا) أى ولكل عامل من طاعة الله أومعصيته مراتب ومنازل من عمله يبلغه الله إياها ويثيبه بها إن خيرا فخير وإن شرا فشر (قلت) ويحتمل أن يعود قوله (ولكل درجات مما عملوا) أى من كافرى الجن والانس أى ولكل درجة فى النار بحسبه كقوله (قال لكل ضعف) وقوله (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) (وماربك بغافل عما يعملون) قال ابن جرير أى وكل ذلك من عملهم يامحمد بعلم من ربك يحصيها ويثبتها لهم عنده ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ومعادهم اليه

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ * قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

يقول تعالى (وربك) يامحمد (الغنى) أى عن جميع خلقه من جميع الوجوه وهم الفقراء اليه فى جميع أحوالهم (ذوالرحمة) أى وهو مع ذلك رحيم بهم كما قال تعالى (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) (إن يشأ يذهبكم) أى إذا خالفتم أمره (ويستخلف من بعدكم مايشاء) أى قوما آخرين أى يعملون بطاعته (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) أى هو قادر على ذلك سهل عليه يسير لديه كما أذهب القرون الأولى وأتى بالذى بعدها كذلك هو قادر على إذهاب هؤلاء والاتيان بآخرين كما قال تعالى (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا) وقال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد * إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وماذلك على الله بعزيز)

وقال تعالى (والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) وقال محمد بن إسحق عن يعقوب بن عتبة قال سمعت أبان بن عثمان يقول فى هذه الآية (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) الذرية الأصل والذرية النسل وقوله تعالى (إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين) أى أخبرهم يامحمد أن الذى يوعدون به من أمر المعاد كائن لامحالة (وما أنتم بمعجزين) أى ولا تعجزون الله بل هو قادر على إعادتكم وإن صرتم ترابا رفاتا وعظاما هو قادر لايعجزه شىء ، وقال ابن أبى حاتم فى تفسيرها حدثنا أبى حدثنا محمد بن المصفى حدثنا محمد بن حمير عن أبى بكر ابن أبى مريم عن عطاء بن أبى رباح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « يابنى آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذى نفسى بيده إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين »

وقوله تعالى (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم إنى عامل فسوف تعلمون) هذا تهديد شديد ووعيد أكيد أى استمروا على طريقتكم وناحيتكم إن كنتم تظنون انكم على هدى فأنا مستمر على طريقى ومنهجى كقوله (وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (على مكانتكم) ناحيتكم (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لايفلح الظالمون) أى أتكون لى أولكم وقد أنجز الله موعده لرسوله صلوات الله عليه أى فانه تعالى مكنه فى البلاد وحكمه فى نواصى مخالفيه من العباد وفتح له مكة وأظهره على من كذبه من قومه وعاداه وناواه واستقر أمره على سائر جزيرة العرب وكذلك اليمن والبحرين وكل ذلك فى حياته ثم

فتحت الأمصار والأقاليم والرساتيق بعد وفاته فى أيام خلفائه رضى الله عنهم أجمعين كما قال الله تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) وقال (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وقال تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) وقال تعالى إخبارا عن رسله (فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد) وقال تعالى(وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) الآية وقد فعل الله ذلك بهذه الأمة المحمدية وله الحمد والمنة أولا وآخراً وظاهرا وباطنا

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

هذا ذم وتوبيخ من الله للمشركين الذين ابتدعوا بدعا وكفرا وشركا وجعلوا لله شركا وجزءا من خلقه وهو خالق كل شيء سبحانه وتعالى ولهذا قال تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ) أى مما خلق وبرأ (من الحرث) أى من الزرع والثمار (والأنعام نصيبا) أى جزءا وقسما (فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) وقوله (فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم) قال على بن أبى طلحة والعوفى عن ابن عباس أنه قال فى تفسير هذه الآية إن أعداء الله كانوا إذا حرثوا حرثا أو كانت لهم ثمرة جعلوا لله منه جزءا وللوثن جزءا فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه وإن سقط منه شيء فيما سمى للصمد ردوه إلى ما جعلوه للوثن وإن سبقهم الماء الذى جعلوه للوثن فسقى شيئا جعلوه لله جعلوا ذلك للوثن وإن سقط شيء من الحرث والثمرة الذى جعلوه لله فاختلط بالذى جعلوه للوثن قالوا هذا فقير ولم يردوه إلى ما جعلوه لله وإن سبقهم الماء الذى جعلوه لله فسقى ما سمى للوثن تركوه للوثن وكانوا يحرمون من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فيجعلونه للاوثان ويزعمون أنهم يحرمونه قربة لله فقال الله تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا) الآية وهكذا قال مجاهد وقتادة والسدى وغير واحد ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى الآية كل شيء يجعلونه لله من ذبح يذبحونه لا يأكلونه أبدا حتى يذكروا معه أسماء الآلهة وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه وقرأ الآية حتى بلغ (ساء ما يحكمون) أى ساء ما يقسمون فانهم أخطأوا أولا فى القسم لأن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وخالقه وله الملك وكل شيء له وفى تصرفه وتحت قدرته ومشيئته لا إله غيره ولا رب سواه ثم لما قسموا فيما زعموا القسمة الفاسدة لم يحفظوها بل جاروا فيها كقوله جل وعلا (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) وقال تعالى (وجعلوا له من عباده جزأ إن الإنسان لكفور مبين) وقال تعالى (ألكم الذكر وله الأنثى) وقوله (تلك إذا قسمة ضيزى)

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾

يقول تعالى وكما زينت الشياطين لهؤلاء أن يجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا كذلك زينوا لهم قتل أولادهم خشية الاملاق ووأد البنات خشية العار ، قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم زينوا لهم قتل أولادهم وقال مجاهد شركاؤهم شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خشية العيلة وقال السدى أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات إما ليردوهم فيهلكوهم ، وإما ليلبسوا عليهم دينهم أى فيخلطوا عليهم دينهم ونحو ذلك قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقتادة وهذا كقوله تعالى (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا

وهو كظم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به) الآية وكقوله (وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) وقد كانوا أيضا يقتلون الأولاد من الاملاق وهو الفقر أو خشية الاملاق أن يحصل لهم فى تلف المال وقد نهاهم عن قتل أولادهم لذلك وإنما كان هذا كله من تزيين الشياطين وشرعهم ذلك ، قوله تعالى (ولو شاء الله فعلوه) أى كل هذا واقع بمشيئته تعالى وإرادته واختياره لذلك كونا وله الحكمة التامة فى ذلك فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (فذرهم وما يفترون) أى فدعهم واجتنبهم وما هم فيه فسيحكم الله بينك وبينهم

﴿ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس الحجر الحرام مما حرموا من الوصيلة وتحريم ما حرموا وكذلك قال مجاهد والضحاك والسدى وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرها وقال قتادة (وقالوا هذا أنعام وحرث حجر) تحريم كان عليهم من الشياطين فى أموالهم وتغليظ وتشديد ولم يكن من الله تعالى ، وقال ابن زيد بن أسلم (حجر) إنما احتجروها لآلهتهم ، وقال السدى (لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم) يقولون حرام أن يطعم إلا من شئنا وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون) وكقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) وقال السدى أما الأنعام التى حرمت ظهورها فهى البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وأما الأنعام التى لا يذكرون اسم الله عليها لا إذا ولدوها ولا إن نحروها . وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبى النجود قال لى أبو وائل أتدرى ما فى قوله (وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها ؟) قلت لا قال هى البحيرة كانوا لا يحجون عليها ، وقال مجاهد كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا فى شىء من شأنها لا إن ركبوا ولا إن حلبوا ولا إن حملوا ولا إن نتجوا ولا إن عملت شيئا (افتراء عليه) أى على الله وكذبا منهم فى إسنادهم ذلك إلى دين الله وشرعه فانه لم يأذن لهم فى ذلك ولا رضيه منهم (سيجزيهم بما كانوا يفترون) أى عليه ويسندون إليه

﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾

قال أبو إسحق السبيعى عن عبد الله بن أبى الهذيل عن ابن عباس (وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا) الآية قال اللبن وقال العوفى عن ابن عباس (وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا) فهو اللبن كانوا يحرمونه على إناثهم ويشربه ذكرانهم وكانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذبحوه وكان للرجال دون النساء وإن كانت أنثى تركت فلم تذبح وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء فنهى الله عن ذلك وكذا قال السدى وقال الشعبى البحيرة لا يأكل من لبنها إلا الرجال وإن مات منها شىء أكله الرجال والنساء وكذا قال عكرمة وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال مجاهد فى قوله (وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) قال هى السائبة والبحيرة وقال أبو العالية ومجاهد وقتادة فى قول الله (سيجزيهم وصفهم) أى قولهم الكذب فى ذلك يعنى كقوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع) الآية إنه (حكيم) أى فى أفعاله وأقواله وشرعه وقدره (عليم) بأعمال عباده من خير وشر وسيجزيهم عليها أتم الجزاء

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا

وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾

يقول تعالى قدخسر الذين فعلوا هـذه الأفاعيل فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهـم وضيقوا عليهم فى أموالهم فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم وأما فى الآخرة فيصيرون إلى أسوأ المنازل بكذبهم على الله وافترائهم كقوله تعالى (إن الذين يفترون على الله الـكذب لايفلحون * متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقال الحافظ أبوبكر بن مردويه فى تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن أيوب حـدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال إذا سرك أن تعـلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) وهكذا رواه البخارى منفرداً فى كتاب مناقب قريش من صحيحه عن أبى النعمان محمد بن الفضل عارم عن أبى عوانة واسمه الوضاح بن عبد الله اليشكرى عن أبى بشر واسمه جعفر بن أبى وحشية عن إياس به

﴿ وَهُوَ الَّذِى أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

يقول تعالى مبينا أنه الخالق لـكل شىء من الزروع والثمار والأنعام التى تصرف فيها هؤلاء المشركون بآرائهم الفاسدة وقسموها وجزؤوها فجعلوا منها حراما وحـلالا فقال (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغـير معروشات) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس معروشات مسموكات وفى رواية فالمعروشات ماعرش الناس وغـير معروشات ماخرج فى البر والجبال من الثمرات ، وقال عطاء الخراسانى عن ابن عباس معروشات ماعرش من الـكرم وغير معروشات مالم يعرش من الـكرم وكذا قال السدى وقال ابن جريج متشابها وغـير متشابه قال متشابها فى المنظر وغـير متشابه فى المطعم وقال محمـد بن كعب (كلوا من ثمره إذا أثمر) قال من رطبه وعنبه ، وقوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) قال ابن جرير قال بعضهم هى الزكاة المفروضة حدثنا عمرو حدثنا عبد الصمد حدثنا يزيد بن درهم قال سمعت أنس بن مالك يقول (وآتوا حقه يوم حصاده) قال الزكاة المفروضة وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (وآتوا حقه يوم حصاده) يعنى الزكاة المفروضة يوم يكال ويعلم كيله وكذا قال سعيد بن المسيب ، وقال العوفى عن ابن عباس (وآتوا حقه يوم حصاده) وذلك أن الرجل كان إذا زرع فـكان يوم حصاده لم يخرج ممـا حصـد شيئاً فقال الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) وذلك أن يعلم ما كيله وحقه من كل عشرة واحد وما يلقط الناس من سنبله ، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود فى سننه من حديث محمد بن إسحق حدثنى محمد بن يحيى بن حبان عن عمه واسع بن حبان عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ أمر من كل جاذ عشرة أوسق من التمر بقنو يعلق فى المسجد للمساكين وهـذا إسناد جيـد قوى ، وقال طاوس وأبو الشـعثاء وقتادة والحسن والضحاك وابن جريج هى الزكاة وقال الحسن البصرى هى الصـدقة من الحب والثمار وكذا قال زيد بن أسـلم وقال آخرون وهو حق آخر سوى الزكاة وقال أشعث عن محمد بن سـيرين ونافع عن ابن عمر فى قوله (وآتوا حقه يوم حصاده) قال كانوا يعطون شيئا سوى الزكاة رواه ابن مردويه وروى عبد الله بن المبارك وغيره عن عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء بن أبى رباح فى قوله (وآتوا حقه يوم حصاده) قال يعطى من حضره يومئذ ماتيسر وليس بالزكاة وقال مجاهد إذا حضرك المساكين طرحت لهم منـه وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد (وآتوا حقه يوم حصاده) قال عند الزرع يعطى القبضة

وعند الصرام يعطى القبضة ويتركهم فيتبعون آثار الصرام ، وقال الثورى عن حماد عن إبراهيم النخعى قال يعطى مثل الضغث وقال ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير (وآتوا حقه يوم حصاده) قال كان هذا قبل الزكاة للمساكين القبضة والضغث لعلف دابته وفى حديث ابن لهيعة عن دراج عن أبى الهيثم عن سعيد مرفوعا (وآتوا حقه يوم حصاده) قال (ماسقط من السنبل) رواه ابن مردويه وقال آخرون هذا شىء كان واجبا ثم نسخه الله بالعشر أو نصف العشر حكاه ابن جرير عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية وإبراهيم النخعى والحسن والسدى وعطية العوفى وغيرهم واختاره ابن جرير رحمه الله ، قلت وفى تسمية هذا نسخا نظر لأنه قد كان شيئاً واجبا فى الأصل ثم إنه فصل بيانه وبين مقدار المخرج وكميته قالوا وكان هذا فى السنة الثانية من الهجرة فالله أعلم ، وقد ذم الله سبحانه الذين يصرمون ولا يتصدقون كما ذكر عن أصحاب الجنة فى سورة « ن » (إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم) أى كالليل المدلهم سوداء محترقة (فتنادوا مصبحين * أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين * فانطلقوا وهم يتخافتون * أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين * وغدوا على حرد) أى قوة وجلد وهمة (قادرين * فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون * قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون * قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون * قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين * عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون * كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)

وقوله تعالى (ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) قيل معناه لا تسرفوا فى الاعطاء فتعطوا فوق المعروف وقال أبو العالية كانوا يعطون يوم الحصاد شيئا ثم تباروا فيه وأسرفوا فأنزل الله (ولا تسرفوا) وقال ابن جريج نزلت فى ثابت بن قيس ابن شماس جذ نخلاله فقال لا يأتينى اليوم أحد إلا أطعمته فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة فأنزل الله تعالى (ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) رواه ابن جرير عنه وقال ابن جريج عن عطاء نهوا عن السرف فى كل شىء ، وقال إياس بن معاوية ما جاوزت به أمر الله فهو سرف ، وقال السدى فى قوله ولا تسرفوا قال لا تعطوا أموالكم فتقعدوا فقراء وقال سعيد ابن المسيب ومحمد بن كعب فى قوله (ولا تسرفوا) قال لا تمنعوا الصدقة فتعصوا ربكم ، ثم اختار ابن جرير قول عطاء انه نهى عن الاسراف فى كل شىء ولا شك أنه صحيح لكن الظاهر والله أعلم من سياق الآية حيث قال تعالى (كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا) أن يكون عائدا على الأكل أى لا تسرفوا فى الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن كقوله تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) الآية ، وفى صحيح البخارى تعليقا « كلوا واشربوا والبسوا من غير إسراف ولا مخيلة » وهذا من هذا والله أعلم وقوله عز وجل (ومن الأنعام حمولة وفرشا) أى وأنشأ لكم من الأنعام ماهو حمولة وما هو فرش قيل المراد بالحمولة مايحمل عليه من الإبل والفرش الصغار منها كما قال الثورى عن أبى إسحق عن أبى الأحوص عن عبدالله فى قوله حمولة ماحمل عليه من الإبل وفرشا الصغار من الإبل رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه : وقال ابن عباس الحمولة هى الكبار والفرش الصغار من الإبل وكذا قال مجاهد ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (ومن الأنعام حمولة وفرشا) أما الحمولة فالابل والخيل والبغال والحمير وكل شىء يحمل عليه وأما الفرش فالغنم واختاره ابن جرير قال وأحسبه إنما سمى فرشا لدنوه من الأرض ، وقال الربيع بن أنس والحسن والضحاك وقتادة وغيره الحمولة الابل والبقر والفرش الغنم . وقال السدى أما الحمولة فالابل وأما الفرش فالفصلان والعجاجيل والغنم وماحمل عليه فهو حمولة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الحمولة ماتركبون والفرش ماتأكلون وتحلبون : شاة لا تحمل تأكلون لحمها وتتخذون من صوفها لحافا وفرشا وهذا الذى قاله عبدالرحمن فى تفسير هذه الآية الكريمة حسن يشهد له قوله تعالى (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) وقال تعالى (وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصا سائغا للشاربين) إلى أن قال (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين) وقال تعالى (الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون *

ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون) وقوله تعالى (كلوا مما رزقكم الله) أى من الثمار والزروع والأنعام فكلها خلقها الله وجعلها رزقا لكم (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أى طريقه وأوامره كما اتبعها المشركون الذين حرموا ما رزقهم الله أى من الثمار والزروع افتراء على الله (إنه لكم) أى إن الشيطان أيها الناس لكم (عدو مبين) أى بين ظاهر العداوة كما قال تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال تعالى (يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما) الآية وقال تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) والآيات فى هذا كثيرة فى القرآن

﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ *وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴾

هذا بيان لجهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حرموا من الأنعام وجعلوها أجزاء وأنواعا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاما وغير ذلك من الأنواع التى ابتدعوها فى الأنعام والزروع والثمار فبين تعالى أنه أنشأ جنات معروشات وغير معروشات وأنه أنشأ من الأنعام حمولة وفرشا . ثم بين أصناف الأنعام إلى غنم وهو بياض وهو الضأن وسواد وهو المعز[1] ذكره وأنثاه وإلى إبل ذكورها وإناثها وبقر كذلك وأنه تعالى لم يحرم شيئا من ذلك ولا شيئا من أولادها بل كلها مخلوقة لبنى آدم أكلا وركوبا وحمولة وحلبا وغير ذلك من وجوه المنافع كما قال (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) الآية وقوله تعالى (أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين) رد عليهم فى قولهم (مافى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا الآية وقوله تعالى (نبئونى بعلم إن كنتم صادقين) أى أخبرونى عن يقين كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك ، وقال العوفى عن ابن عباس قوله (ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين) فهذه أربعة أزواج (قل آلذكرين حرم أم الانثيين) يقول لم أحرم شيئا من ذلك (أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين) يعنى هل يشتمل الرحم إلا على ذكر أو أنثى فلم تحرمون بعضا وتحلون بعضا ؟ (نبئونى بعلم إن كنتم صادقين) يقول تعالى كله حلال وقوله تعالى (أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا) تهكم بهم فيما ابتدعوه وافتروه على الله من تحريم ما حرموه من ذلك (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) أى لا أحد أظلم منه (إن الله لا يهدى القوم الظالمين) وأول من دخل فى هذه الآية عمرو بن لحى بن قمعة لأنه أول من غير دين الأنبياء وأول من سيب السوائب ووصل الوصيلة وحمى الحامى كما ثبت ذلك فى الصحيح

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

يقول تعالى آمرا عبده ورسوله محمداً ﷺ (قل) يا محمد لهؤلاء الذين حرموا ما رزقهم الله افتراء على الله (لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه) أى آكل يأكله قيل معناه لا أجد شيئا مما حرمتم حراما سوى هذه وقيل معناه لا أجد من الحيوانات شيئا حراما سوى هذه فعلى هذا يكون ما ورد من التحريم بعد هذا فى سورة المائدة وفى الأحاديث الواردة رافعا لمفهوم هذه الآية ومن الناس من يسمى هذا نسخا والأكثرون من المتأخرين لا يسمونه نسخاً لأنه من باب رفع مباح الأصل والله أعلم ، وقال العوفى عن ابن عباس (أو دما مسفوحا) يعنى المهراق

(١) ليس كل الضأن أبيض ولا كل المعز أسود وليس فى الآية ذكر للبياض والسواد

وقال عكرمة فى قوله (أو دما مسفوحا) لولاهذه الآية لتتبع الناس مافى العروق كما تتبعه اليهود ، وقال حماد عن عمران ابن جرير قال سألت أبا مجلز عن الدم ، وما يتلطخ من الذبيح من الرأس وعن القدريرى فيها الحمرة فقال إنما نهى الله عن الدم المسفوح وقال قتادة حرم من الدماء ماكان مسفوحا فأما اللحم خالطه الدم فلا بأس به وقال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا حجاج بن منهاج حدثنا حمادعن يحيى بن سعيد عن القاسم عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت لا ترى بلحوم السباع بأسا والحمرة والدم يكونان على القدر بأسا وقرأت هذه الآية صحيح غريب

وقال الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال قلت لجابر بن عبد الله إنهم يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر فقال قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أبى ذلك البحر يعنى ابن عباس وقرأ (قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه) الآية وكذا رواه البخارى عن على بن المدينى عن سفيان به،وأخرجه أبو داود من حديث ابن جريج عن عمرو بن دينار ورواه الحاكم فى مستدركه مع أنه فى صحيح البخارى كما رأيت ، وقال أبو بكر بن مردويه والحاكم فى مستدركه حدثنا محمد بن على بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن أبى الشعثاء عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا فبعث الله نبيه وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرم حرامه فما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو وقرأ هذه الآية (قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه) الآية وهذا لفظ ابن مردويه ورواه أبو داود منفردا به عن محمد بن داود بن صبيح عن أبى نعيم به وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت يارسول الله ماتت فلانة تعنى الشاة قال « فلم لا أخذتم مسكها » قالت نأخذ مسك شاة قد ماتت ؟ فقال لها رسول الله ﷺ « إنما قال الله (قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مفسوحا أولحم خنزير) وإنكم لا تطعمونه أن تدبغوه فتنتفعوا به؟» فأرسلت فسلخت مسكها فدبغته فاتخذت منه قربة حتى تخرقت عندها » رواه أحمد ورواه البخارى والنسائى من حديث الشعبى عن عكرمة عن ابن عباس عن سودة بنت زمعة بذلك أو نحوه وقال سعيد بن منصور حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عيسى بن نميلة الفزارى عن أبيه قال كنت عند ابن عمر فسأله رجل عن أكل القنفذ فقرأ عليه (قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه) الآية فقال شيخ عنده سمعت أبا هريرة يقول ذكر عند النبى ﷺ فقال « خبيث من الخبائث » فقال ابن عمر : إن كان النبى ﷺ قاله فهو كما قال ورواه أبو داود عن أبى ثور عن سعيد بن منصور به

وقوله تعالى (فمن اضطر غير باغ ولا عاد)أى فمن اضطر إلى أكل شىء مما حرم الله فى هذه الآية الكريمة وهو غير متلبس ببغى ولا عدوان (فان ربك غفور رحيم)أى غفور له رحيم به وقد تقدم تفسير هذه الآية فى سورة البقرة بما فيه كفاية والغرض من سياق هذه الآية الكريمة الرد على المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوه من تحريم المحرمات على أنفسهم بآرائهم الفاسدة من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك فأمر رسوله أن يخبرهم أنه لا يجد فيما أوحاه الله إليه أن ذلك محرم وإنما حرم ما ذكر فى هذه الآية من الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وماعدا ذلك فلم يحرم وإنما هو عفو مسكوت عنه فكيف تزعمون أنتم أنه حرام ومن أين حرمتموه ولم يحرمه الله؟ وعلى هذا فلا يبقى تحريم أشياء أخر فيما بعد هذا كما جاء النهى عن لحوم الحمر الأهلية ولحوم السباع وكل ذى مخلب من الطير على المشهور من مذاهب العلماء

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾

قال ابن جرير يقول تعالى وحرمنا على اليهود كل ذى ظفر وهو البهائم والطير مالم يكن مشقوق الأصابع كالابل

والنعام والإوز والبيط قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) وهو البعير والنعامة وكذا قال مجاهد والسدى فى رواية وقال سعيد بن جبير هو الذى ليس منفرج الأصابع وفى رواية عنه كل متفرق الأصابع ومنه الديك وقال قتادة فى قوله (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) وكان يقال للبعير والنعامة وأشياء من الطير والحيتان وفى رواية البعير والنعامة وحرم عليهم من الطير البط وشبهه وكل شىء ليس بمشقوق الأصابع ، وقال ابن جريج عن مجاهد كل ذى ظفر قال النعامة والبعير شقاشقا قلت للقاسم بن أبي بزة وحدثته ماشقاشقا قال كل مالا ينفرج من قوائم البهائم قال وما انفرج أكلته قال انفرجت قوائم البهائم والعصافير قال فيهود تأكله قال ولم تنفرج قائمة البعير — خفه — ولا خف النعامة ولا قائمة الوز فلا تأكل اليهود الإبل ولا النعامة ولا الوز ولا كل شىء لم تنفرج قائمته ولا تأكل حمار الوحش ، وقوله تعالى (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) قال السدى يعنى الثرب وشحم الكليتين وكانت اليهود تقول إنه حرمه إسرائيل فنحن نحرمه وكذا قال ابن زيد ، وقال قتادة الثرب[1] وكل شحم كان كذلك ليس فى عظم ، وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس (إلا ما حملت ظهورهما) يعنى ماعلق بالظهر من الشحوم ، وقال السدى وأبو صالح الألية مما حملت ظهورهما وقوله تعالى (أو الحوايا) قال الإمام أبو جعفر بن جرير الحوايا جمع واحدها حاوياء وحاوية وحوية وهو ماتحوّى من البطن فاجتمع واستدار وهى بنات اللبن وهى المباعر وتسمى المرابض وفيها الأمعاء قال ومعنى الكلام : ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما وما حملت الحوايا . قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس أو الحوايا وهى المبعر وقال مجاهد الحوايا المبعر والمربض وكذا قال سعيد بن جبير والضحاك وقتادة وأبو مالك والسدى وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد الحوايا المرابض التى تكون فيها الأمعاء تكون وسطحها وهى بنات اللبن وهى فى كلام العرب تدعى المرابض ، وقوله تعالى (أو ما اختلط بعظم) يعنى إلا ما اختلط من الشحوم بعظم فقد أحللناه لهم ، وقال ابن جريج شحم الألية ما اختلط بالعصعص فهو حلال وكل شىء فى القوائم والجنب والرأس والعين وما اختلط بعظم فهو حلال ونحوه قاله السدى وقوله تعالى (ذلك جزيناهم ببغيهم) أى هذا التضييق إنما فعلناه بهم وألزمناهم به مجازاة على بغيهم ومخالفتهم أوامرنا كما قال تعالى (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) وقوله (وإنا لصادقون) أى وإنا لعادلون فيما جازيناهم به وقال ابن جرير وإنا لصادقون فيما أخبرناك به يا محمد من تحريمنا ذلك عليهم لا كما زعموا من أن إسرائيل هو الذى حرمه على نفسه والله أعلم وقال عبد الله بن عباس بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن سمرة باع خمرا فقال قاتل الله سمرة ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال « لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها » أخرجاه من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس عن عمر به وقال الليث حدثنى يزيد بن أبي حبيب قال : قال عطاء بن أبي رباح سمعت جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح « ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام» فقيل يارسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنها يدهن بها الجلود وتطلى بها السفن ويستصبح بها الناس فقال « لا هو حرام » ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك « قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه وأكلوا ثمنه » ورواه الجماعة من طرق عن يزيد بن أبي حميد به ، وقال الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها » ورواه البخارى ومسلم جميعا عن عبدان عن ابن المبارك عن يونس عن الزهرى به ، وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم حدثنا إسماعيل بن إسحق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا وهيب حدثنا خالد الحذاء عن بركة أبي الوليد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان قاعدا خلف المقام فرفع بصره إلى السماء فقال « لعن الله اليهود — ثلاثا — إن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها وان الله لم يحرم على قوم أكل شىء إلا حرم عليهم ثمنه » وقال الإمام أحمد حدثنا على بن عاصم أنبأنا خالد الحذاء عن بركة أبي الوليد أنبأنا ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا فى المسجد مستقبلا الحجر فنظر إلى السماء

(١) الثرب بالفتح : الشحم الذى على الكرش والأمعاء .

فضحك فقال « لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها وإن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه » ورواه أبوداود من حديث خالد الحذاء ، وقال الأعمش عن جامع بن شداد عن كلثوم عن أسامة بن زيد قال دخلنا على رسول الله ﷺ وهو مريض نعوده فوجدناه نائما قدغطى وجهه ببرد عندنى فكشف عن وجهه وقال « لعن الله اليهود يحرمون شحوم الغنم ويأكلون أثمانها » وفى رواية « حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها » وفى لفظ لأبى داود عن ابن عباس مرفوعا « إن الله إذا حرم أكل شيء حرم عليهم ثمنه »

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾

يقول تعالى فإن كذبك يامحمد مخالفوك من المشركين واليهود ومن شابههم فقل (ربكم ذو رحمة واسعة) وهذا ترغيب لهم فى ابتغاء رحمة الله الواسعة واتباع رسوله (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) ترهيب لهم من مخالفهم الرسول خاتم النبيين وكثيرا ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب فى القرآن كما قال تعالى فى آخر هذه السورة (إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم) وقال (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب) وقال تعالى (نبيء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم * وأن عذابى هو العذاب الأليم) وقال تعالى (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) وقال (إن بطش ربك لشديد * إنه هو يبدئ ويعيد * وهو الغفور الودود) والآيات فى هذا كثيرة جدا :

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ * قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾

هذه مناظرة ذكرها الله تعالى وشبهة تشبث بها المشركون فى شركهم وتحريم ماحرموا فإن الله مطلع على ماهم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الإيمان ويحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا بذلك ولهذا قالوا (لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) كما فى قوله تعالى (وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم) الآية وكذلك الآية التى فى النحل مثل هذه سواء قال الله تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم) أى بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء وهى حجة داحضة باطلة لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه ودمر عليهم وأدال عليهم رسله الكرام وأذاق المشركين من أليم الانتقام (قل هل عندكم من علم) أى بأن الله راض عنكم فيما أنتم فيه (فتخرجوه لنا) أى فتظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه (إن تتبعون إلا الظن) أى الوهم والخيال والمراد بالظن هاهنا الاعتقاد الفاسد (وإن أنتم إلا تخرصون) تكذبون على الله فيما ادعيتموه ، قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (ولوشاء الله ما أشركنا) وقال (كذلك كذب الذين من قبلهم) ثم قال (ولوشاء الله ما أشركوا) فإنهم قالوا عادتنا الآلهة تقربنا إلى الله زلفى فأخبرهم الله أنها لاتقربهم فقوله (ولو شاء الله ما أشركوا) يقول تعالى لوشئت لجمعتهم على الهدى أجمعين ، وقوله تعالى (قل فلله الحجة البالغة فلوشاء لهداكم أجمعين) يقول تعالى لنبيه ﷺ (قل) لهم يامحمد (فلله الحجة البالغة) أى له الحكمة التامة والحجة البالغة فى هداية من هدى وإضلال من ضل (فلو شاء لهداكم أجمعين) فكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين ويبغض الكافرين كما قال تعالى (ولوشاء الله لجمعهم على الهدى) وقال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض) وقوله (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم

من الجنة والناس أجمعين) قال الضحاك لا حجة لأحد عصى الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده وقوله تعالى (قل هلم شهداءكم) أى أحضروا شهداءكم (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) أى هذا الذى حرمتموه وكذبتم وافتريتم على الله فيه (فان شهدوا فلا تشهد معهم) أى لأنهم إنما يشهدون والحالة هذه كذبا وزورا (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) أى يشركون به ويجعلون له عديلا .

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

قال داود الأودى عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود رضى الله عنه قال من أراد أن ينظر إلى وصية رسول الله ﷺ التى عليها خاتمة فليقرأ هؤلاء الآيات (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا — إلى قوله — لعلكم تتقون) وقال الحاكم فى مستدركه حدثنا بكر بن محمد الصيرفى عن عروة حدثنا عبد الصمد بن الفضل حدثنا مالك بن إسماعيل المهدى حدثنا إسرائيل عن أبى إسحق عن عبد الله بن خليفة قال سمعت ابن عباس يقول فى الأنعام آيات محكمات هن أم الكتاب ثم قرأ (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) الآيات ثم قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه . قلت ورواه زهير وقيس بن الربيع كلاهما عن أبى إسحق عن عبد الله بن قيس عن ابن عباس به والله أعلم وروى الحاكم أيضا فى مسنده من حديث يزيد بن هارون عن سفيان بن حسين عن الزهرى عن أبى إدريس عن عبادة ابن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ « أيكم يبايعنى على ثلاث » ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) حتى فرغ من الآيات « فمن وفى فأجره على الله ومن انتقص منهن شيئا فأدركه الله به فى الدنيا كانت عقوبته ومن أخر إلى الآخرة فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه » ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وإنما اتفقا على حديث الزهرى عن أبى إدريس عن عبادة « بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً » الحديث ، وقد روى سفيان بن حسين كلا الحديثين فلا ينبغى أن ينسب إلى الوهم فى أحد الحديثين إذا جمع بينهما والله أعلم . وأما تفسيرها فيقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله وحرموا ما رزقهم الله وقتلوا أولادهم وكل ذلك فعلوه بآرائهم وتسويل الشياطين لهم (قل) لهم (تعالوا) أى هلموا وأقبلوا (أتل ما حرم ربكم عليكم) أى أقص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقا لا نخرصا ولا ظنا بل وحيا منه وأمرا من عنده (ألا تشركوا به شيئا) وكأن فى الكلام محذوفا دل عليه السياق وتقديره وأوصاكم (ألا تشركوا به شيئا) ولهذا قال فى آخر الآية (ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) وكما قال الشاعر :

حج وأوصى بسليمى الأعبدا * أن لا ترى ولا تكلم أحدا * ولا يزل شرابها مبردا

وتقول العرب أمرتك أن لا تقوم وفى الصحيحين من حديث أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أتانى جبريل فبشرنى أنه من مات لا يشرك بالله شيئا من أمتك دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال وإن زنى وإن سرق ، قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال وإن زنى وإن سرق ، قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر » وفى بعض الروايات أن قائل ذلك إنما هو أبو ذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه عليه الصلاة والسلام قال فى الثالثة « وإن رغم أنف أبى ذر » فكان أبو ذر يقول بعد تمام الحديث « وإن رغم أنف أبى ذر » وفى بعض المسانيد والسنن عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ يقول تعالى ﴿ يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى فانى أغفر لك على ما كان منك ولا أبالى ولو أتيتنى بقراب الأرض خطيئة أتيتك بقرابها مغفرة مالم تشرك بى شيئا ، وإن أخطأت حتى تبلغ خطاياك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ﴾ ولهذا شاهد فى

القرآن قال الله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود «من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة » والآيات والأحاديث فى هذا كثيرة جدا ، وروى ابن مردويه من حديث عبادة وأبى الدرداء « لا تشركوا بالله شيئا وإن قطعتم أوصلبتم أو حرقتم » وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصى حدثنا ابن أبى مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثنى سيار بن عبدالرحمن عن يزيد بن قوذر عن سلمة بن شريح عن عبادة بن الصامت قال أوصانا رسول الله ﷺ بسبع خصال « ألا تشركوا بالله شيئا وإن حرقتم وقطعتم وصلبتم » رواه ابن أبى حاتم . وقوله تعالى (وبالوالدين إحسانا) أى وأوصاكم وأمركم بالوالدين إحسانا أى أن تحسنوا إليهم كما قال تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) وقرأ بعضهم ، ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » أى أحسنوا إليهم والله تعالى كثيرا ما يقرن بين طاعته وبر الوالدين كما قال (أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) فأمر بالإحسان إليهما وإن كانا مشركين بحسبهما وقال تعالى (وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا) الآية والآيات فى هذا كثيرة وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أفضل ؟ قال « الصلاة على وقتها » قلت ثم أى ؟ قال « بر الوالدين » قلت ثم أى ؟ قال « الجهاد فى سبيل الله » قال ابن مسعود حدثنى بهن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادنى وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه بسنده عن أبى الدرداء وعن عبادة بن الصامت كل منهما يقول أوصانى خليلى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أطع والديك وإن أمراك أن تخرج لهما من الدنيا فافعل » ولكن فى إسنادهما ضعف والله أعلم . وقوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) لما أوصى تعالى بالوالدين[1] والأجداد عطف على ذلك الإحسان إلى الأبناء والأحفاد فقال تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك فكانوا يئدون البنات خشية العار وربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار ولهذا ورد فى الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » قلت ثم أى قال « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » قلت ثم أى قال « أن تزانى حليلة جارك » ثم تلا رسول الله ﷺ (والذين لا يدعون مع الله آلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) الآية وقوله تعالى (من إملاق) قال ابن عباس وقتادة والسدى وغيره هو الفقر أى ولا تقتلوهم من فقركم الحاصل ، وقال فى سورة الاسراء (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق) أى لا تقتلوهم خوفا من الفقر فى الآجل ولهذا قال هناك (نحن نرزقهم وإياكم) فبدأ برزقهم للاهتمام بهم أى لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله وأما هنا فلما كان الفقر حاصلا قال (نحن نرزقكم وإياهم) لأنه الأهم ههنا والله أعلم ، وقوله تعالى (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) كقوله تعالى (قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وقد تقدم تفسيرها فى قوله تعالى (وذروا ظاهرا الإثم وباطنه) وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » وقال عبد الملك بن عمير عن وزاد عن مولاه المغيرة قال : قال سعد بن عبادة لو رأيت مع امرأتى رجلا لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال « أتعجبون من غيرة سعد ؟ فوالله لأنا أغير من سعد ، والله أغير منى ، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » أخرجاه وقال كامل أبو العلاء عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قيل يارسول الله إنا نغار قال « والله انى لأغار والله أغير منى ومن غيرته نهى عن الفواحش » رواه ابن مردويه ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة وهو على شرط الترمذى فقد روى بهذا السند . أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين » وقوله تعالى (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) وهذا مما نص تبارك وتعالى على النهى عنه تأكيدا وإلا فهو

(١) فى نسخة الأزهر : بر الآباء الخ

داخل فى النهى عن الفواحش ماظهر منها وما بطن فقد جاء فى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لايحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » وفى لفظ لمسلم « والذى لا إله غيره لايحل دم رجل مسلم وذكره قال الأعمش فحدثت به إبراهيم فحدثنى عن الأسود عن عائشة بمثله وروى أبوداود والنسائى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث خصال زان محصن يرجم ، ورجل قتل متعمدا فيقتل ورجل يخرج من الإسلام وحارب الله ورسوله فيقتل أو يصلب أو ينفى من الأرض » وهذا لفظ النسائى وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه قال وهو محصور سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه ، أوزنى بعد احصانه ، أو قتل نفسا بغير نفس » فوالله مازنيت فى جاهلية ولا إسلام . ولا تمنيت أن لى بدينى بدلا منه بعد إذ هدانى الله ، ولاقتلت نفسا ، فبم تقتلوننى ؟ » رواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه وقال الترمذى هذا حديث حسن ، وقد جاء النهى والزجر والوعيد فى قتل المعاهد وهو المستأمن من أهل الحرب فروى البخارى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ مرفوعا « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما » وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً » رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح ، وقوله (ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) أى هذا مما وصاكم به لعلكم تعقلون عن الله أمره ونهيه

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

قال عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أنزل الله (ولا تقربوا مالا اليتيم إلا بالتى هى أحسن) و (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) الآية فانطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل الشىء فيحبس له حتى يأكله ويفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم) قال فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم رواه أبوداود ، وقوله تعالى (حتى يبلغ أشده) قال الشعبى ومالك وغير واحد من السلف يعنى حتى يحتلم وقال السدى حتى يبلغ ثلاثين سنة ، وقيل أربعون سنة وقيل ستون سنة قال وهذا كله بعيد هاهنا والله أعلم ، وقوله تعالى (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) يأمر تعالى بإقامة العدل فى الأخذ والإعطاء كما توعد على تركه فى قوله تعالى (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألايظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين) وقد أهلك الله أمة من الأمم كانوا يبخسون المكيال والميزان وفى كتاب الجامع لأبى عيسى الترمذى من حديث الحسين بن قيس أبى على الرحبى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الكيل والميزان « إنكم وليتم أمرا هلكت فيه الأمم السالفة قبلكم » ثم قال لانعرفه مرفوعا إلا من حديث الحسين وهو ضعيف فى الحديث وقد روى بإسناد صحيح عن ابن عباس موقوفا ، قلت وقد رواه ابن مردويه فى تفسيره من حديث شريك عن الأعمش عن سالم بن أبى الجعد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنكم معشر الموالى قد بشركم الله بخصلتين بها هلكت القرون المتقدمة المكيال والميزان » وقوله تبارك وتعالى (لانكلف نفسا إلا وسعها) أى من اجتهد فى آداء الحق وأخذه فإن أخطأ بعد استفراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه وقد روى ابن مردويه من حديث بقية عن ميسرة بن عبيد عن عمرو بن ميمون بن مهران عن أبيه عن

سعيد بن المسيب قال : قال رسول الله ﷺ فى الآية (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفساً إلا وسعها) فقال «من أوفى على يده فى الكيل والميزان والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما لم يؤاخذ وذلك تأويل وسعها» هذا مرسل غريب وقوله (وإذا قلتم فاعدلوا ولوكان ذاقربى) كقوله (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) الآية وكذا التى تشبهها فى سورة النساء يأمر تعالى بالعدل فى الفعال والمقال على القريب والبعيد والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد فى كل وقت وفى كل حال ، وقوله (وبعهدالله أوفوا) قال ابن جرير يقول وبوصية الله التى أوصاكم بها فأوفوا وإيفاء ذلك أن تطيعوه فيما أمركم ونهاكم وتعملوا بكتابه وسنة رسوله وذلك هو الوفاء بعهدالله (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) يقول تعالى هذا أوصاكم به وأمركم به وأكد عليكم فيه (لعلكم تذكرون) أى تتعظون وتنتهون عما كنتم فيه قبل هذا وقرأ بعضهم بتشديد الذال وآخرون بتخفيفها

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وفى قوله (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) ونحو هذا فى القرآن قال أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة وأخبرهم أنه انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات فى دين الله ونحو هذا قاله مجاهد وغير واحد وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا الأسود بن عامر شاذان حدثنا أبو بكر هو ابن عياش عن عاصم هو ابن أبى النجود عن أبى وائل عبد الله هو ابن مسعود رضى الله عنه قال خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال « هذا سبيل الله مستقيما » وخط عن يمينه وشماله ثم قال « هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه » ثم قرأ (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وكذا رواه الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبى بكر بن عياش به وقال صحيح ولم يخرجاه ، وهكذا رواه أبو جعفر الرازى وورقاء وعمرو بن أبى قيس عن عاصم عن أبى وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود مرفوعا به نحوه وكذا رواه يزيد بن هرون ومسدد والنسائى عن يحيى بن حبيب بن عربى وابن حبان من حديث ابن وهب أربعتهم عن حماد بن زيد عن عاصم عن أبى وائل عن ابن مسعود به ، وكذا رواه ابن جرير عن المثنى عن الحمانى عن حماد بن زيد به ورواه الحاكم عن أبى بكر بن إسحق عن إسماعيل بن إسحق القاضى عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد به كذلك وقال صحيح ولم يخرجاه . وقد روى هذا الحديث النسائى والحاكم من حديث أحمد بن عبدالله بن يونس عن أبى بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن عبدالله بن مسعود به مرفوعا ، وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث يحيى الحمانى عن أبى بكر بن عياش عن عاصم عن زر به فقد صححه الحاكم كما رأيت من الطريقين ولعل هذا الحديث عن عاصم بن أبى النجود عن زر وعن أبى وائل شقيق بن سلمة كلاهما عن ابن مسعود به والله أعلم . وقال الحاكم وشاهد هذا الحديث حديث الشعبى عن جابر من وجه غير معتمد . يشير إلى الحديث الذى قال الإمام أحمد وعبد بن حميد جميعا واللفظ لأحمد حدثنا عبد الله بن محمد وهو أبو بكر بن أبى شيبة أنبأنا أبو خالد الأحمر عن مجالد عن الشعبى عن جابر قال كنا جلوسا عند النبى ﷺ فخط خطاً هكذا أمامه فقال « هذا سبيل الله » وخطين عن يمينه وخطين عن شماله وقيل « هذه سبل الشيطان » ثم وضع يده فى الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) ورواه أحمد وابن ماجه فى كتاب السنة من سننه والبزار عن أبى سعيد عبدالله بن سعيد عن أبى خالد الأحمر به قلت ورواه الحافظ بن مردويه من طريقين عن أبى سعيد الكندى حدثنا أبو خالد عن مجالد عن الشعبى عن جابر قال خط رسول الله ﷺ خطا وخط عن يمينه خطا وخط عن يساره خطا ووضع يده على الخط الأوسط وتلا هذه الآية (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه) ولكن العمدة على حديث ابن مسعود مع مافيه من الاختلاف ان كان مؤثرا ، وقد روى موقوفا عليه قال ابن جرير حدثنا محمد بن

عبدالأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبان بن عثمان أن رجلا قال لابن مسعود ما الصراط المستقيم ؟ قال تركنا محمد ﷺ فى أدناه وطرفه فى الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد ثم رجال يدعون من مربهم فمن أخذ فى تلك الجواد انتهت به إلى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة ثم قرأ ابن مسعود (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق عن سبيله) الآية وقال ابن مردويه حدثنا أبو عمرو حدثنا محمد بن عبدالوهاب حدثنا آدم حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا أبان بن عياش عن مسلم بن أبى عمران عن عبد الله بن عمر سأل عبد الله عن الصراط المستقيم فقال ابن مسعود تركنا محمد ﷺ فى أدناه وطرفه فى الجنة وذكر تمام الحديث كما تقدم والله أعلم

وقد روى من حديث النواس بن سمعان نحوه قال الإمام أحمد حدثنى الحسن بن سوار أبو العلاء حدثنا ليث يعنى ابن سعد عن معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه عن أبيه عن النواس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعن جنبتى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس هلم ادخلوا الصراط المستقيم جميعا ولا تفرقوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه فانك إن فتحته تلجه فالصراط الإسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحه محارم الله وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله والداعى من فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم » ورواه الترمذى والنسائى عن على بن حجر زاد النسائى وعمرو بن عثمان كلاهما عن بقية بن الوليد عن يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان به ، وقال الترمذى حسن غريب وقوله تعالى (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) إنما وحد سبيله لأن الحق واحد ولهذا جمع السبل لتفرقها وتشعبها كما قال تعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطى حدثنا يزيد بن هارون حدثنا سفيان بن حسين عن الزهرى عن أبى إدريس الخولانى عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ « أيكم يبايعنى على هؤلاء الآيات الثلاث » ثم تلا (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) حتى فرغ من ثلاث آيات ثم قال « ومن وفى بهن فأجره على الله ومن انتقص منهن شيئا فأدركه الله فى الدنيا كانت عقوبته ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء أخذه وإن شاء عفا عنه »

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِى أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

قال ابن جرير (ثم آتينا موسى الكتاب) تقديره ثم قل يا محمد مخبرا عنا انا آتينا موسى الكتاب بدلالة قوله (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) قلت وفى هذا نظر وثم ههنا إنما هى لعطف الخبر بعد الخبر لا للترتيب ههنا كما قال الشاعر

قل لمن ساد ثم ساد أبوه * ثم قد ساد قبل ذلك جده

وههنا لما أخبر الله سبحانه عن القرآن بقوله (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه) عطف بمدح التوراة ورسولها فقال ثم آتينا موسى الكتاب وكثيراً ما يقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة كقوله تعالى (ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لساناً عربيا) وقوله أول هذه السورة (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) الآية وبعدها (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) الآية وقال تعالى مخبرا عن المشركين (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى) قال تعالى (أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون) وقال تعالى مخبرا عن الجن انهم قالوا (يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق) الآية وقوله تعالى (تماماً على الذى أحسن وتفصيلا) أى آتيناه الكتاب الذى أنزلناه إليه تماماً كاملا جامعا لما يحتاج إليه فى شريعته كقوله (وكتبنا

له فى الألواح من كل ش
وطاعتنا كقوله
للناس

ء) الآية وقوله تعالى (على الذى أحسن) أى جزاء على إحسانه فى العمل وقيامه بأوامرنا
(هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وكقوله (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك
ن إماما) وكقوله (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) وقال أبو جعفر الرازى عن
الربيع بن أنس (ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن) يقول أحسن فيما أعطاه الله وقال قتادة من أحسن
فى الدنيا تمم له ذلك فى الآخرة واختار ابن جرير أن تقديره (ثم آتينا موسى الكتاب تماما) على إحسانه فكانه جعل
الذى مصدرية كما قيل فى قوله تعالى (وخضتم كالذى خاضوا) أى كخوضهم وقال ابن رواحة

وثبت الله ما آتاك من حسن * فى المرسلين ونصراً كالذى نصروا

وقال آخرون الذى ههنا بمعنى الذين قال ابن جرير وذكر عن عبدالله بن مسعود أنه كان يقرؤها تماما على الذين أحسنوا
وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد تماما على الذى أحسن قال على المؤمنين والمحسنين وكذا قال أبو عبيدة وقال البغوى
المحسنون الأنبياء والمؤمنون . يعنى أظهرنا فضله عليهم قلت كقوله تعالى (قال يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى
وبكلامى) ولا يلزم اصطفاؤه على محمد ﷺ خاتم الأنبياء والخليل عليهما السلام لأدلة أخرى قال ابن جرير
وروى أبو عمرو بن العلاء عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرؤها تماما على الذى أحسن رفعا بتأويل على الذى هو أحسن
ثم قال وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها وإن كان لها فى العربية وجه صحيح ، وقيل معناه تماما على إحسان الله إليه زيادة
على ما أحسن إليه حكاه ابن جرير والبغوى ولا منافاة بينه وبين القول الأول وبه جمع ابن جرير كما بيناه ولله الحمد
وقوله تعالى (وتفصيلا لكل شىء وهدى ورحمة) فيه مدح لكتابه الذى أنزله الله عليه (لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون
وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) فيه الدعوة إلى اتباع القرآن يرغب سبحانه عباده فى كتابه
ويأمرهم بتدبره والعمل به والدعوة إليه ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به فى الدنيا والآخرة لأنه حبل الله المتين

﴿ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا
لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾

قال ابن جرير معناه وهذا كتاب أنزلناه لئلا تقولوا (إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) يعنى لينقطع عذركم
كقوله تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك) الآية
وقوله تعالى (على طائفتين من قبلنا) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس هم اليهود والنصارى وكذا قال مجاهد والسدى
وقتادة وغير واحد وقوله (وإن كنا عن دراستهم لغافلين) أى وما كنا نفهم ما يقولون لأنهم ليسوا بلساننا ونحن
فى غفلة وشغل مع ذلك عما هم فيه وقوله (أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم) أى وقطعنا تعللكم أن
تقولوا لو أنا أنزل علينا ما أنزل عليهم لكنا أهدى منهم فيما أوتوه كقوله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن
أهدى من إحدى الأمم) الآية وهكذا قال ههنا (فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة) يقول فقد جاءكم من الله على لسان
محمد ﷺ النبى العربى قرآن عظيم فيه بيان للحلال والحرام وهدى لما فى القلوب ورحمة من الله لعباده الذين يتبعونه
ويقتفون ما فيه . وقوله تعالى (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) أى لم ينتفع بما جاء به الرسول
ولا اتبع ما أرسل به ولا ترك غيره بل صدف عن اتباع آيات الله أى صرف الناس وصدهم عن ذلك قاله السدى ،
وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة وصدف عنها أعرض عنها وقول السدى ههنا فيه قوة لأنه قال (فمن أظلم ممن
كذب بآيات الله وصدف عنها) كما تقدم فى أول السورة (وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم) وقال
تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب) وقال فى هذه الآية الكريمة (سنجزى الذين

يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) وقد يكون المراد فيما قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) أى لا آمن بها ولا عمل بها كقوله تعالى (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) وغير ذلك من الآيات الدالة على اشتمال الكافر على التكذيب بقلبه وترك العمل بجوارحه ولكن كلام السدى أقوى وأظهر والله أعلم لأن الله قال (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) كقوله تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون)

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾

يقول تعالى متوعدا للكافرين به والمخالفين لرسله والمكذبين بآياته والصادين عن سبيله (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك) وذلك كائن يوم القيامة (أو يأتى بعض آيات ربك يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها) وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأشراطها حين يرون شيئا من أشراط الساعة كما قال البخارى فى تفسير هذه الآية حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا عمارة حدثنا أبو زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها » فذلك حين (لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل) حدثنا إسحق حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها » وفى لفظ « فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » ثم قرأ هذه الآية . هكذا رى هذا الحديث من هذين الوجهين ومن الوجه الأول أخرجه بقية الجماعة فى كتبهم إلا الترمذى من طرق عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة عن أبى زرعة ابن عمرو بن جرير عن أبى هريرة به .

وأما الطريق الثانى فرواه عن إسحق غير منسوب وقيل هو ابن منصور الكوسج وقيل إسحق بن نصر والله أعلم وقد رواه مسلم عن محمد بن رافع الجنديسابورى كلاهما عن عبد الرزاق به وقد ورد هذا الحديث من طرق أخر عن أبى هريرة كما انفرد مسلم بروايته من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبى هريرة به ، وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض » ورواه أحمد عن وكيع عن فضيل بن غزوان عن أبى حازم سلمان عن أبى هريرة به وعنده والدخان ورواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب عن وكيع ورواه هو أيضا والترمذى من غير وجه عن فضيل بن غزوان به ورواه إسحق بن عبد الله القروى عن مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة ولكن لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه لضعف القروى والله أعلم ، وقال ابن جرير حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا شعيب بن الليث عن أبيه عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت آمن الناس كلهم وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » الآية ورواه ابن لهيعة عن الأعرج عن أبى هريرة به ورواه وكيع عن فضيل بن غزوان عن أبى حازم عن أبى هريرة به أخرج هذه الطرق كلها الحافظ أبو بكر بن مردويه فى تفسيره ، وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن يحيى أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها قبل منه » لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة

(حديث آخر) عن أبى ذر الغفارى فى الصحيحين وغيرهما من طرق عن إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمى عن أبيه

عن أبي ذر جندب بن جنادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أتدرى أين تذهب الشمس إذا غربت ؟ » قلت لاأدرى : قال « إنها تنتهى دون العرش فتخر ساجدة ثم تقوم حتى يقال لها ارجعى فيوشك ياأباذر أن يقال لها ارجعى من حيث جئت وذلك حين (لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل) »

(حديث آخر) عن حذيفة بن أسيد بن أبي شريحة الغفارى رضى الله عنه ، قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا سفيان عن فرات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى بن مريم ، وخروج الدجال ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا » وهكذا رواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث فرات القزاز عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد به وقال الترمذى حسن صحيح . (حديث آخر) عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه، قال الثورى عن منصور عن ربعى عن حذيفة قال سألت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله ما آية طلوع الشمس من مغربها ؟ فقال النبى ﷺ « تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين فينتبه الذين كانوا يصلون فيها فيعملون كما كانوا يعملون قبلها والنجوم لاترى قد غابت مكانها ثم يرقدون ثم يقومون فيصلون ثم يرقدون ثم يقومون تبطل عليهم جنوبهم حتى يتطاول عليهم الليل فيفزع الناس ولا يصحون فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذ طلعت من مغربها فاذا رآها الناس آمنوا فلم ينفعهم إيمانهم » رواه ابن مردويه وليس هو فى شىء من الكتب الستة من هذا الوجه والله أعلم

(حديث آخر) عن أبي سعيد الخدرى واسمه سعد بن مالك بن سنان رضى الله عنه وأرضاه قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا ابن أبي ليلى عن عطية العوفى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ « (يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها)ـ قالـ طلوع الشمس من مغربها » ورواه الترمذى عن سفيان بن وكيع عن أبيه به وقال غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه وفى حديث طالوت بن عباد عن فضال بن جبير عن أبي أمامة صدى بن عجلان قال : قال رسول الله ﷺ « إن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها » وفى حديث عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله فتح بابا قبل المغرب عرضه سبعون عاما للتوبة لايغلق حتى تطلع الشمس منه » رواه الترمذى وصححه النسائى وابن ماجه فى حديث طويل

(حديث آخر) عن عبد الله بن أبي أوفى قال ابن مردويه حدثنا محمد بن على بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا ضرار بن صرد حدثنا ابن فضيل عن سليمان بن زيد عن عبد الله بن أبي أوفى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليأتين على الناس ليلة تعدل ثلاث ليالى من لياليكم هذه فاذا كان ذلك يعرفها المتنفلون يقوم أحدهم فيقرأ حزبه ثم ينام ثم يقوم فيقرأ حزبه ثم ينام فبينما هم كذلك إذ صاح الناس بعضهم فى بعض فقالوا ما هذا فيفزعون إلى المساجد فاذا هم بالشمس قد طلعت حتى إذا صارت فى وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها ـ قال حينئذ ـ لاينفع نفساً إيمانها » هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس هو فى شىء من الكتب الستة

(حديث آخر) عن عبد الله بن عمرو قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا أبو حيان عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير قال جلس ثلاثة نفر من المسلمين إلى مروان بالمدينة فسمعوه وهو يحدث عن الآيات يقول إن أولها خروج الدجال قال فانصرفوا إلى عبد الله بن عمرو فحدثوه بالذى سمعوه من مروان فى الآيات فقال لم يقل مروان شيئا حفظت من رسول الله ﷺ يقول « إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ضحى فأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها » ثم قال عبد الله وكان يقرأ الكتب وأظن أولها خروجا طلوع الشمس من مغربها وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش وسجدت واستأذنت فى الرجوع فأذن لها فى الرجوع حتى إذا بدا لله

أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل، أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت فى الرجوع فلم يرد عليها شيء ثم استأذنت فى الرجوع فلا يرد عليها شيء حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب وعرفت أنه إذا أذن لها فى الرجوع لم تدرك المشرق قالت رب ما أبعد المشرق من لى بالناس حتى إذا صار الأفق كأنه طوق استأذنت فى الرجوع فيقال لها من مكانك فاطلعى فطلعت على الناس من مغربها ثم تلا عبد الله هذه الآية (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) الآية وأخرجه مسلم فى صحيحه وأبو داود وابن ماجه فى سننهما من حديث أبى حيان التيمى واسمه يحيى بن سعيد بن حيان عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير به (حديث آخر عنه) قال الطبرانى حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان الرقى حدثنا إسحق بن إبراهيم ابن زريق الحمصى حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا ابن لهيعة عن حيى بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال النبى ﷺ « إذا طلعت الشمس من مغربها خر إبليس ساجدا ينادى ويجهر إلهى مرنى أن أسجد لمن شئت ـ قال ـ فيجتمع إليه زبانيته فيقولون كلهم ما هذا التضرع فيقول إنما سألت ربى أن ينظرنى إلى الوقت المعلوم وهذا الوقت المعلوم ـ قال ـ ثم تخرج دابة الأرض من صدع فى الصفا ـ قال ـ فأول خطوة تضعها بانطاكيا فتأتى إبليس فتلطمه » هذا حديث غريب جدا وسنده ضعيف ولعله من الزاملتين اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك فأما رفعه فمنكر والله أعلم (حديث آخر) عن عبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنهم أجمعين قال الإمام أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد يرده إلى مالك بن يخامر عن ابن السعدى أن رسول الله ﷺ قال « لا تنقطع الهجرة مادام العدو يقاتل » فقال معاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص إن رسول الله ﷺ قال « إن الهجرة خصلتان إحداهما تهجر السيئات والأخرى تهاجر إلى الله ورسوله ولا تنقطع ما تقبلت التوبة ولا تزال التوبة تقبل حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل » هذا الحديث حسن الإسناد ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة والله أعلم (حديث آخر) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال عوف الأعرابى عن محمد بن سيرين حدثنى أبو عبيدة عن ابن مسعود أنه كان يقول ما ذكر من الآيات فقد مضى غير أربع طلوع الشمس من مغربها ، والدجال . ودابة الأرض وخروج يأجوج ومأجوج . قال وكان يقول الآية التى تختم بها الأعمال طلوع الشمس من مغربها ألم تر أن الله يقول (يوم يأتى بعض آيات ربك) الآية كلها يعنى طلوع الشمس من مغربها. حديث ابن عباس رضى الله عنهما رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه فى تفسيره من حديث عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب بن منبه عن ابن عباس مرفوعا فذكر حديثا طويلا غريبا منكرا رفعه ، وفيه أن الشمس والقمر يطلعان يومئذ من المغرب مقرونين وإذا انتصفا السماء رجعا ثم عادا إلى ما كانا عليه . وهو حديث غريب جدا بل منكر بل موضوع إن ادعى أنه مرفوع فأما وقفه على ابن عباس أو وهب بن منبه وهو الأشبه فغير مدفوع والله أعلم ، وقال سفيان عن منصور عن عامر عن عائشة رضى الله عنها قالت إذا خرج أول الآيات طرحت وحبست الحفظة وشهدت الأجساد على الأعمال رواه ابن جرير رحمه الله تعالى ، فقوله تعالى (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) أى إذا أنشأ الكافر إيمانا يومئذ لا يقبل منه فأما من كان مؤمنا قبل ذلك فان كان مصلحا فى عمله فهو بخير عظيم وإن لم يكن مصلحا فأحدث توبة حينئذ لم تقبل منه توبته كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة وعليه يحمل قوله تعالى (أو كسبت فى إيمانها خيرا) أى ولا يقبل منها كسب عمل صالح إذا لم يكن عاملا به قبل ذلك وقوله تعالى (قل انتظروا إنا منتظرون) تهديد شديد للكافرين ووعيد أكيد لمن سوف بإيمانه وتوبته إلى وقت لا ينفعه ذلك وإنما كان هذا الحكم عند طلوع الشمس من مغربها لاقتراب الساعة وظهور أشراطها كما قال (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) وقوله تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأو بأسنا) الآية

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

قال مجاهد وقتادة والضحاك والسدى نزلت هذه الآية فى اليهود والنصارى وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل مبعث محمد ﷺ فتفرقوا فلما بعث محمد ﷺ أنزل الله عليه (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء) الآية ، وقال ابن جرير حدثنى سعيد بن عمر السكونى حدثنا بقية بن الوليد كتب إلى عباد بن كثير حدثنى ليث عن طاوس عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ فى هذه الآية « (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء) وليسوا منك هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة » لكن هذا إسناد لا يصح فان عباد ابن كثير متروك الحديث ولم يختلق هذا الحديث ولكنه وهم فى رفعه فانه رواه سفيان الثورى عن ليث وهو ابن أبى سليم عن طاوس عن أبى هريرة فى الآية أنه قال نزلت فى هذه الأمة ، وقال أبو غالب عن أبى أمامة فى قوله (وكانوا شيعاً) قال هم الخوارج وروى عنه مرفوعا ولا يصح وقال شعبة عن مجالد عن الشعبى عن شريح عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعائشة رضى الله عنها «(إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) ـ قال ـ هم أصحاب البدع » وهذا رواه ابن مردويه وهو غريب أيضاً ولا يصح رفعه والظاهر أن الآية عامة فى كل من فارق دين الله وكان مخالفا له فان الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق فمن اختلف فيه (وكانوا شيعاً) أى فرقا كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات فان الله تعالى قد برأ رسول الله ﷺ مما هم فيه وهذه الآية كقوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك) الآية وفى الحديث « نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد» فهذا هو الصراط المستقيم وهو ما جاءت به الرسل من عبادة الله وحده لا شريك له والتمسك بشريعة الرسول المتأخر وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء والرسل برءآء منها كما قال الله تعالى (لست منهم فى شىء) وقوله تعالى (إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) كقوله تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) الآية ثم بين لطفه سبحانه فى حكمه وعدله يوم القيامة فقال تعالى

﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

وهذه الآية الكريمة مفصلة لما أجمل فى الآية الأخرى وهى قوله (من جاء بالحسنة فله خير منها) وقد وردت الأحاديث مطابقة لهذه الآية كما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا عفان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا الجعد أبو عثمان عن أبى رجاء العطاردى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى « إن ربكم عز وجل رحيم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة . ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له واحدة أو يمحوها الله عز وجل ولا يهلك على الله إلا هالك» ورواه البخارى ومسلم والنسائى من حديث الجعد أبى عثمان به وقال أحمد أيضا حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل من عمل حسنة فله عشر أمثاله وأزيد ومن عمل سيئة فجزاؤه مثلها أو أغفر ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقينى لا يشرك بى شيئا جعلت له مثلها مغفرة ومن اقترب إلى شبرا اقتربت إليه ذراعا ومن اقترب إلى ذراعا اقتربت إليه باعا ومن أتانى يمشى أتيته هرولة » ورواه مسلم عن أبى كريب عن أبى معاوية به وعن أبى بكر بن أبى شيبة عن وكيع عن الأعمش به ورواه ابن ماجه عن على بن محمد الطنافسى عن وكيع به ، وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا شيبان حدثنا حماد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنه فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه شىء فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة » واعلم أن تارك السيئة الذى لا يعملها على ثلاثة أقسام تارة يتركها لله فهذا تكتب له حسنة على كفه عنها لله تعالى وهذا عمل ونية ولهذا جاء أنه يكتب له حسنة

كما جاء فى بعض ألفاظ الصحيح فانما تركها من جرائى أى من أجلى ، وتارة يتركها نسيانا وذهولا عنها فهذا لا له ولا عليه لأنه لم ينو خيرا ولا فعل شرا ، وتارة يتركها عجزا وكسلا عنها بعد السعى فى أسبابها والتلبس بما يقرب منها فهذا بمنزلة فاعلها كما جاء فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » قالوا يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال « إنه كان حريصا على قتل صاحبه » وقال الإمام أبو يعلى الموصلى حدثنا مجاهد بن موسى حدثنا على وحدثنا الحسن بن الصباح وأبو خيثمة فالا حدثنا إسحق بن سليمان كلاهما عن موسى بن عبيدة عن أبى بكر بن عبيد الله بن أنس عن جده أنس قال: قال رسول الله ﷺ « من هم بحسنة كتب الله له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها فإن عملها كتبت عليه سيئة فان تركها كتبت له حسنة يقول الله تعالى إنما تركها من مخافتى » هذا لفظ حديث مجاهد يعنى ابن موسى ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن ابن مهدى حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن الركين بن الربيع عن أبيه عن عمه فلان بن عميلة عن خريم بن فاتك الأسدى أن النبى ﷺ قال « إن الناس أربعة والأعمال ستة فالناس موسع له فى الدنيا والآخرة وموسع له فى الدنيا مقتور عليه فى الآخرة ومقتور عليه فى الدنيا موسع له فى الآخرة وشقى فى الدنيا والآخرة والأعمال موجبتان ومثل بمثل وعشرة أضعاف وسبعمائة ضعف فالموجبتان من مات مسلما مؤمنا لا يشرك بالله شيئا وجبت له الجنة ومن مات كافرا وجبت له النار ومن هم بحسنة فلم يعملها فعلم الله أنه قد أشعرها قلبه وحرص عليها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة لم تكتب عليه ومن عملها كتبت واحدة ولم تضاعف عليه ومن عمل حسنة كانت عليه بعشر أمثالها ومن أنفق نفقة فى سبل الله عز وجل كانت بسبعمائة ضعف » ورواه الترمذى والنسائى من حديث الركين بن الربيع عن أبيه عن بشير بن عميلة عن خريم بن فاتك به ببعضه والله أعلم ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن عمر القواريرى حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حبيب بن المعلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يحضر الجمعة ثلاثة نفر رجل حضرها بلغو فهو حظه منها ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا الله فإن شاء أعطاه وإن شاء منعه ورجل حضرها بإنصات وسكوت ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحدا فهى كفارة له إلى الجمعة التى تليها وزيادة ثلاثة أيام وذلك لأن الله عز وجل يقول (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) » وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا هاشم بن مرثد حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنى أبى حدثنى ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ « الجمعة كفارة لما بينها وبين الجمعة التى تليها[1] وزيادة ثلاثة أيام وذلك لأن الله تعالى قال (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) » وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الدهر كله » رواه الإمام أحمد وهذا لفظه والنسائى وابن ماجه والترمذى وزاد « فأنزل الله تصديق ذلك فى كتابه (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) اليوم بعشرة أيام » ثم قال هذا حديث حسن وقال ابن مسعود (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) من جاء بلا إله إلا الله ومن جاء بالسيئة يقول بالشرك وهكذا جاء عن جماعة من السلف رضى الله عنهم أجمعين وقد ورد فيه حديث مرفوع الله أعلم بصحته لكنى لم أروه من وجه يثبت والأحاديث والآثار فى هذا كثيرة جدا وفيما ذكر كفاية إن شاء الله وبه الثقة

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

يقول تعالى آمراً نبيه صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين أن يخبر بما أنعم به عليه من الهداية إلى صراطه المستقيم الذى لا اعوجاج فيه ولا انحراف (ديناً قيماً) أى قائما ثابتاً (ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) كقوله (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) وقوله (وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم) وقوله (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين * شاكراً لأنعمه

(١) فى النسخة المكية التى قبلها .

اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ، وآتيناه فى الدنيا حسنة وإنه فى الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) وليس يلزم من كونه ﷺ أمر باتباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها لأنه عليه السلام قام بها قياما عظيما وأكملت له إكمالا تاما لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال ولهذا كان خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم على الاطلاق ، وصاحب المقام المحمود الذى يرغب إليه الخلق حتى الخليل عليه السلام . وقد قال ابن مردويه حدثنا محمد بن عبد الله بن حفص حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبوداود الطيالسى حدثنا شعبة أنبأنا سلمة بن كهيل سمعت ذر بن عبد الله الهمدانى يحدث عن ابن أبزى عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال « أصبحنا على ملة الاسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين » وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن إسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأديان أحب إلى الله تعالى ؟ قال « الحنيفية السمحة » وقال أحمد أيضا حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذقنى على منكبه لأنظر إلى زفن الحبشة حتى كنت التى مللت فانصرفت عنه . قال عبد الرحمن عن أبيه قال : قال لى عروة إن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ « لتعلم يهود أن فى ديننا فسحة إنى أرسلت بحنيفية سمحة » أصل الحديث مخرج فى الصحيحين والزيادة لها شواهد من طرق عدة وقد استقصيت طرقها فى شرح البخارى ولله الحمد والمنة ، وقوله تعالى (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين) يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم فى ذلك فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لاشريك له وهذا كقوله تعالى (فصل لربك وانحر) أى أخلص له صلاتك وذبحك فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والاقبال بالقصد والنية والعزم على الاخلاص لله تعالى قال مجاهد فى قوله (إن صلاتى ونسكى) النسك الذبح فى الحج والعمرة وقال الثورى عن السدى عن سعيد بن جبير (ونسكى) قال ذبحى وكذا قال السدى والضحاك ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا أحمد بن خالد الذهبى حدثنا محمد بن إسحق عن يزيد بن أبى حبيب عن ابن عباس عن جابر ابن عبد الله قال ضحى رسول الله ﷺ فى يوم عيد النحر بكبشين وقال حين ذبحهما[1] « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ، إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » وقوله عز وجل (وأنا أول المسلمين) قال قتادة أى من هذه الأمة وهو كما قال فان جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوتهم إلى الاسلام وأصله عبادة الله وحده لاشريك له كما قال (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقد أخبرنا تعالى عن نوح أنه قال لقومه (فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال تعالى (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال يوسف عليه السلام (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين) وقال موسى (ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين * فقالوا على الله توكلنا ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين * ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) وقال تعالى (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار) الآية وقال تعالى (وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) فأخبر تعالى أنه بعث رسله بالاسلام ولكنهم متفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصة التى ينسخ بعضها بعضا إلى أن نسخت بشريعة محمد ﷺ التى لا تنسخ أبد الآبدين ولا تزال قائمة منصورة وأعلامها منشورة إلى قيام الساعة ولهذا قال عليه السلام « نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد » فإن أولاد العلات هم الإخوة

(١) فى المكية وجهها .

من أب واحد وأمهات شتى فالدين واحدوهوعبادة الله وحده لا شريك له وإن تنوعت الشرائع التى هى بمنزلة الأمهات كما أن اخوة الأخياف عكس هذا بنو الأم الواحدة من آباء شتى والاخوة الأعيان الأشقاء من أب واحد وأم واحدة والله أعلم وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الماجشون حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمى عن الأعرج عن عبيد الله بن أبى رافع عن على رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا كبر استفتح ثم قال « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من مشركين ، إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين» إلى آخر الآية[1] « اللهم أنت الملك لا إله أنت أنت ربى وأنا عبدك ، ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعا لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك » ثم ذكر تمام الحديث فيما يقوله فى الركوع والسجود والتشهد وقد رواه مسلم فى صحيحه

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

يقول تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين بالله فى اخلاص العبادة له والتوكل عليه (أغير الله أبغى ربا) أى أطلب ربا سواه (وهو رب كل شىء) يربينى ويحفظنى ويكلؤنى ويدبر أمرى ، أى لا أتوكل إلا عليه ولا أنيب إلا إليه لأنه رب كل شىء ومليكه وله الخلق والأمر . ففى هذه الآية الأمر باخلاص التوكل كما تضمنت التى قبلها اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وهذا المعنى يقرن بالآخر كثيرا فى القرآن كقوله تعالى مرشدا لعباده أن يقولوا له (إياك نعبد وإياك نستعين) وقوله (فاعبده وتوكل عليه) وقوله (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) وقوله (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) وأشباه ذلك من الآيات . وقوله تعالى (ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى) إخبار عن الواقع يوم القيامة فى جزاء الله تعالى وحكمه وعدله أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد وهذا من عدله تعالى كما قال (وان تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى) وقوله تعالى (فلا يخاف ظلما ولا هضما) قال علماء التفسير : أى فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره ولا يهضم بأن ينقص من حسناته وقال تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) معناه كل نفس مرتهنة بعملها السىء إلا أصحاب اليمين فانه قد يعود بركة أعمالهم الصالحة على ذرياتهم وقراباتهم كما قال فى سورة الطور (والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء) أى ألحقنا بهم ذريتهم فى المنزلة الرفيعة فى الجنة وإن لم يكونوا قد شاركوهم فى الأعمال ، بل فى أصل الإيمان ، وما ألتناهم أى نقصنا أولئك السادة الرفعاء من أعمالهم شيئا حتى ساويناهم وهؤلاء الذين هم أنقص منهم منزلة ، بل رفعهم تعالى إلى منزلة الآباء ببركة أعمالهم بفضله ومنته ثم قال (كل امرئ بما كسب رهين) أى من شر ، وقوله (ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) أى اعملوا على مكانتكم إنا عاملون على ما نحن عليه فستعرضون ونعرض عليه وينبئنا وإياكم بأعمالنا وأعمالكم وما كنا نختلف فيه فى الدار الدنيا كقوله (قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون * قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم)

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

يقول تعالى (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض) أى جعلكم تعمرونها جيلا بعد جيل ، وقرنا بعد قرن وخلفا بعد سلف . قاله ابن زيد وغيره كقوله تعالى (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون) وكقوله تعالى

(١) كذا فى النسختين الأميرية والمكية والمراد إلى آخر الآية التى بعدهذه وقد أثبتت الأخيرة فى النسخة الأزهرية . فلم تذكر فيها هذه العبارة

(ويجعلكم خلفاء الأرض) وقوله (إنى جاعل فى الأرض خليفة) وقوله (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون) وقوله (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) أى فاوت بينكم فى الأرزاق والأخلاق والمحاسن والمساوى والمناظر والأشكال والألوان وله الحكمة فى ذلك كقوله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) وقوله (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا)

وقوله تعالى (ليبلوكم فيما آتاكم) أى ليختبركم فى الذى أنعم به عليكم وامتحنكم به ليختبر الغنى فى غناه ويسأله عن شكره والفقير فى فقره ويسأله عن صبره . وفى صحيح مسلم من حديث أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء » وقوله تعالى (إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم) ترهيب وترغيب أن حسابه وعقابه سريع فيمن عصاه وخالف رسله (وإنه لغفور رحيم) لمن والاه واتبع رسله فيما جاءوا به من خبر وطلب . وقال محمد بن إسحق ليرحم العباد على ما فيهم رواه ابن أبى حاتم وكثيرا ما يقرن الله تعالى فى القرآن بين هاتين الصفتين كقوله (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم * وإن ربك لشديد العقاب) وقوله (نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم) إلى غير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها وتارة بهما لينجع فى كل بحسبه ، جعلنا الله ممن أطاعه فيما أمر ، وترك ما عنه نهى وزجر ، وصدقه فيما أخبر ، إنه قريب مجيب سميع الدعاء جواد كريم وهاب . وقد قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا زهير عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعا أن رسول الله ﷺ قال « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط أحد من الجنة خلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها وعند الله تسعة وتسعون » ورواه الترمذى عن قتيبة عن عبد العزيز الدراوردى عن العلاء به وقال حسن ورواه مسلم عن يحيى ابن يحيى وقتيبة وعلى بن حجر ثلاثتهم عن إسماعيل بن جعفر عن العلاء وعنه أيضا قال : قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتى تغلب غضبى » وعنه أيضا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل فى الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » رواه مسلم — آخر تفسير سورة الأنعام ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الاعراف وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الٓمٓصٓ * كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾

قد تقدم الكلام فى أول سورة البقرة على ما يتعلق بالحروف وبسطه واختلاف الناس فيه، قال ابن جرير حدثنا سفيان ابن وكيع حدثنا أبى عن شريك عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى عن ابن عباس (المص) أنا الله أفصل وكذا قال سعيد بن جبير (كتاب أنزل إليك) أى هذا كتاب أنزل إليك أى من ربك (فلا يكن فى صدرك حرج منه) قال مجاهد وقتادة والسدى شك منه وقيل لا تتحرج به فى إبلاغه والانذار به (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) ولهذا قال (لتنذر به) أى أنزلناه إليك لتنذر به الكافرين (وذكرى للمؤمنين) ثم قال تعالى مخاطبا للعالم (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم) أى اقتفوا آثار النبى الأمى الذى جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شىء ومليكه (ولا تتبعوا من دونه أولياء) أى لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره (قليلا ما تذكرون)